١٥

سلسلة الباب



محطة الأتوبيس

حجرة الفئران

إسحق إسكندر

١٥

سلسلة
ملء الجباب

العدد الخامس عشر

أكتوبر ٢٠٠٤

حجرة الفئران

محطة الأتوبيس

إسحق إسكندر

سلسلة ملء الجباب

صدر منها:

١- ملء الجباب
٢- تكفيك نعمتى
لماذا أنا بالذات ؟
٣- كرسى المسيح
٤- حبيب الرب
٥- أرى الدم
ثلاثة أبكار
أربع معارك
٦- على الشجوية
ظل الموت
٧- روشتة للألم
٨- كاهن عظيم
٩- السجين الحالم
١٠- ميمى بك
١١- مجاهد فى الجبانة
١٢- رئيس الخلاص
١٣- وأنت تبقى
١٤- لنا شفيع (طبعة ثانية)

- Upon Shiggaion
- The Shadow of Death
- The Brass Serpent

إيداع رقم ١٣٩٦٧ / ٢٠٠٤ بدار الكتب

ترقيم دولى 977-17-1600-X

الفهرس

مقدمة

كان لا بد من إعادة إصدار كتيب " لنا شفيع " (فى طبعته الثانية) ، قبل إصدار هذا العدد .. لأن الأول يتناول خدمة الرب يسوع المسيح – كالشفيع – حيال المخطئ – على مبدأ **النعمة** – وذلك قبل أن يقوم المخطئ بدوره المطلوب .. بل حتى قبل أن يخطئ.

ويجئ هذا العدد تالياً للسابق ، لأنه يتناول الدور المطلوب من المخطئ فى أن يحكم على نفسه ؛ من خلال قصة " محطة الأتوبيس ".

ثم ما يترتب على عدم قيامه بهذا الدور ؛ من خلال قصة " حجرة الفئران".. هذا بالإضافة إلى موضوعين آخرين.

وحيث أن امتيازات المؤمن التى له **بالنعمة** ، تسبق **المسئولية** ، وتسبق ماهو مطلوب منه ، لذلك رجائى أن يكون القارئ العزيز قد سبق وقرأ العدد السابق .. قبل أن يقرأ القصتين المذكورتين على التوالى بنفس ترتيبهما.

راجياً من الرب – بصلوات القديسين – أن يكون هذا الكتيب علاجاً لنفوس صُغرت (١ تس ٤ : ١٥).

وأسباب صغر نفس المؤمن – حتى الكبير فى السن ، أو القديم فى الإيمان – كثيرة .. منها ما ينتج عن إصابة بعجز .. أو استمرار لمرض .. أو تعرض لظلم .. أو اجتياز لمحنة .. أو معاناة من فقر .. أو دخول فى تجارب .. إلخ.

أما فى موضوعنا ، فصغر النفس حادث لسبب اختبار للقصور .. وسقوط فى الخطية.

حمانا الرب .. وأقامنا إن زلت أقدامنا .

محطة الأتوبيس

محطة الأتوبيس

" لأنه لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا" (١ كو ١١ : ٣١).

" بسيط " أخ مؤمن، يحب الرب، لكنه ينهزم أحياناً أمام بعض الخطايا.. ربما لا يزال يجتاز مرحلة الصراع الداخلى الوارد فى (رومية ٧).

أمام ضعفه وهزيمته المتكررة صغُرت نفسه، وابتدأ يشعر بعمق أنه لا يستحق إحسان الرب الأبدى له.. بل ولا يستحق الحياة الزمنية نفسها.

وفى أول الأسبوع (الأحد) كان يجلس فى الاجتماع، ويستمع إلى الخادم الذى وصل فى كلامه الى القول :

﴿ " ليمتحن الإنسان نفسه " (١ كو ١١ : ٢٨) .. بمعنى أن يجعل من نفسه تلميذاً يجتاز الامتحان .. ويجعل من نفسه فى ذات الوقت مصحِّحاً يصحح ورقة إجابته .. فما هى الدرجة التى - باعتباره المصحح - يعطيها لنفسه - باعتباره التلميذ ؟ - بعض المؤمنين يظنون أن درجتهم ضعيفة .. كأن تكون ستة من عشرة مثلا .. وأن عليهم بالمثابرة والجهاد، لتحسين هذه الدرجة لتصعد قُدُماً .. فتصبح سبعة من عشرة .. ثم ثمانية .. وهلم جراً .. وهو فكر خاطئ.. لأنه لو امتحنّا أنفسنا حقاً .. وكنا أمناء فى تقديرنا للدرجة الفعلية التى نستحقها، لكانت صفرا من عشرة، لا أكثر .. هذا إن لم تكن أقل من الصفر﴾ .

هكذا كان الخادم يعظ .. والأخ " بسيط " يصادق بكل حواسه على كل كلمة يقولها الخادم .. فقد كان هذا هو ما يختبره فى نفسه تماما .. فدرجته فى نظر نفسه تساوى صفرا .. وأقل من الصفر .. إن كان هناك أقل.

الخادم يضيف :

﴿ هذا التلميذ الخائب، الذى حصل على صفر من عشرة ؟ .. وهى درجة متكررة فى كل امتحاناته.. ماذا يُفعل به ؟.. لاشئ أقل من إحالته إلى مجلس

تأديب تشكله الجامعة (أو المدرسة) لمحاسبته باعتباره تلميذاً فاشــلاً .. متكــرر الرسوب – وعن جدارة فى كل مرة – ليحكم هذا المجلس فى مسألة هذا الطالب.. إن كان بالفصل.. أو بأى عقوبة أخرى يراها المجلس .. وفى حالتنا عندما نخطئ .. وقبل أن نتقدم للأكل من الخبز والشرب من الكأس، فى عشاء الــرب .. وقــد أحرزنا درجة الصفر – بكل عدالة – ماذا نفعل ؟ .. نحيل أوراقنا إلى ما يشــبه مجلس الجامعة .. وممن يتكون هذا المجلس ؟.. من أنفسنا أيضاً .. فيجعل كــل واحد من نفسه مجلس تأديب فردياً يحاكم نفسه .. وبأى قانون يحكم ؟ .. إن هــذا المجلس – الفردى – لديه دستور إلهى يحكم به ومن خلاله ؛ وهو الكتاب .. فمــا هى العقوبة التى يقررها هذا الدستور الإلهى ؟.. إنهــا المــوت (رو ٦ : ٢٣) .. فيقول المخطئ منا (ومن منا لا يخطئ) : يارب أنا أستحق الموت نتيجة خطيتى .. فإن خرجت الآن الى الشارع، وصدمتنى سيارة ، فأنا أستحق ذلك .. إن وقــع المنزل علىَّ ، فأنا أستحق ذلك.. إن قرر الطبيب أننى مصاب بمرض مميت، فأنا أستحق ذلك .. **إلا إذا عفوت عنى بنعمتك – وعلى أساس صليبك – يارب .. فى هذه الحالة يُعفى عنه** .. إذ قد حكم على نفسه بالموت .. فيتقدم للأكل من الخبــز والشرب من الكأس .... » .. هكذا كان يقول الخادم.

يتخلل هذا الكلام مسام " بسيط " .. فيأكله أكلاً .. فذلك هو عين ما يفكر فيه تماما.. ويلمسه فى نفسه.



وفى الصباح ينزل " بسيط " – وقد بالغ فى فهم ما ســمعه مــن الخــادم – متوجها إلى عمله .. وإدراكه باستحقاقه العادل للموت يسيطر عليه .. يقف على محطة الأتوبيس .. والمحطة تقع عنــد منحنى الطريق .. على الناحية الظهرية منه (الخارجية) .. حتــى ليخيــل إلــى الواقف عندها أن السيارات القادمة سوف

تقتحم المحطة، لو لم تنحرف مع انحناء الطريق .. يقترب أتوبيس من المحطة .. يتأهب " بسيط " .. فها قد جاءته الميتة التى يتوقعها، تحت عجلات الأتـوبيس .. ينحرف الأتوبيس بعكس انحناء الطريق.. لزوم وقوفه على المحطة .." لا شك أنه انحرف ليصدمنى" .. هكذا يحدث " بسيط " نفســه .. هــل يجــرى، أم يستســلم لمصيره المحتوم ؟.. يقف الأتوبيس عند المحطة دون أن يصدم " بسيط" .. " لقد تأجل تنفيذ الحكم ".. يقولها " بسيط " لنفسه، متنفسا الصعداء.

برهة وتقترب سيارة فنطاس ذات مقطورة .. " هذا ما اســتحقه تمامــاً؛ أن يدهسنى هذا الفنطاس .. فحالتى الأدبية أردأ من أن تستحق أتوبيساً لصدمى.. إنها تحتاج إلى فنطاس مازوت لسحقى" .. يدور كل هذا فى ذهن " بســيط ".. يبتعــد الفنطاس.. فتهدأ جوانح " بسيط ".

تقترب سيارة " مرسيدس " (شبح) بأقصى سرعة .. لم يكن " بسيط " فقط هو من توقع اصطدامها بالمحطة، بل بعض النسوة أيضا.. فهلعن وصــرخن.. ولــو ترجم أحد ما يخامر ذهن " بسيط " ساعتها لوجده يردد فى قلبه :" رحيم أنت يارب .. لقد خففت الحكم .. وبدلا من السحق تحت فنطاس مازوت، أصبح الوقوع تحت عجلات مرسيدس .. الأمر الذى يؤدى فقط إلى قطع يد لى أو رجل".

وقبل أن تصطدم السيارة بالمحطة، أو تصعد على الرصيف، تعوى كبَّاحات (فرامل) " المرسيدس" بشدة .. وتقف فجأة أمام " بسيط " .. ينفتح الباب الأمــامى .. ينزل السائق ليتجه نحو " بسيط " قائلا :" الأستاذ " بسيط " ؟ .. تفضل.. وقبل أن يفيق " بسيط " من خواطره ، أو تزول دهشته، ينفتح الباب الخلفى الأيمــن ، ليسمع صوتاً يعرفه :

▲ أخونا " بسيط " .. تفضل.

● من ؟ .. الأخ " عبد الملاك ".

▲ نعم .. تفضل لأوصلك فى طريقى.

يغوص " بسيط " فى المقعد الخلفى بجوار الأخ " عبد الملاك ".

▲ " إزيك يا أخ " بسيط " ؟.

● " أقول لك إيه يا أخ ملاك ".

▲ " هو الجو اليومين دول تاعب الناس كلها يا أخ بسيط ".

● " ياريتها رسيت على الجو".

▲ أقصد الجو عموما .. جو الأشغال .. وجو الفلوس .. إلى آخره ".

● " برضه مش هو ده ".

▲ " أمال إيه .. طمنِّى يا خونا ".

يغوص بسيط أكثر فى المقعد .. فماذا يقول له ؟.

تطول فترة الصمت .. يقطعها "عبد الملاك "

▲ " يمكن عايز تسألنى عن العربية دى " ؟.

● " ربنا يزيدك يا أخ ملاك .. تستاهل كل خير ".

يخرجها " بسيط " من نصف مخه .. والنصف الآخر غارق فى محنته .

▲ " دى مش عربيتى ".

يتنبه " بسيط " .. فيقول :

● " لازم عربية الشركة ".

▲ " ولا عربية الشركة .. دى عربية المدير الشخصية ".

يهم بسيط بسؤاله : كيف تركبها إذاً ؟.. فيوفر عليه " عبد الملاك " السؤال، ويكمل حديثه :

▲ هناك وفد أجنبى، من رئاسة الشركة فى الخارج، وصل اليوم فجأة .. ومسئول العلاقات العامة عندنا فى أجازة.. فكلفنى المدير باستقبال هذا الوفد .. واصطحابه من الفندق .. وأعارنى سيارته الفارهة هذه، مع سائقها للقيام بهذه المهمة .. فلا هى سيارتى، ولاسيارة الشركة.. ولا هو طريقى، ولا طريق الشركة .. بل طريق الفندق .. ربما يكون الرب .. قد رتب هذا حتى ألقاك ، وأقضى معك فترة الطريق خلال توصيلك .. فإنك توحشنى كثيراً .. فمن مدة طويلة لم أرك.

من برهة غاص جسد " بسيط " فى المقعد .. والآن تغـوص نفسـه داخلـه ..ويكاد ينطق :" استحق يارب أن يدهسنى الفنطاس .. وأنت ترسل لى " ملاكا " .. يركب " شبحاً " .. يحملنى فى جو مكيف .. إلى عملى .. الأمر الذى لم يحدث مرة واحدة فى حياتى .. حتى فى أيام شركتى العميقة بك.

وكما لو كان الرب يرد عليه :

✝ " لا يحتاج الاصحاء إلى طبيب بل المرضى " (مت ٩ : ١٢).

وأخال بسيط يرد :

● ولكن مرضى ردئ (هو١٠ :١٥).. ودائى نجيس (أر ١٧:١٩).

✝ ولكنك حكمت على نفسك بالموت .. فَأَفْلَتّ من العقاب.

● أُفلِتُ من العقاب، نعم .. لكن أُعامَل هذه المعاملة ؟.

✝ لو لم تكن هذه هى المعاملة .. فما كانت نعمة .. ولا اسـتحقت أن تكون.

يؤدى " بسيط " عمله فى هذا اليوم " بنصف مخ " .. وبعد عودته إلى المنزل يدخل مخدعه .. ويغلق بابه .. ويستجمع كل مخه وفكره ليسجد قائلا:

● أنا الذى أستحق الموت الأبدى .. ولكنك أعفيتنى منـه .. لا لشـئ إلا لأنك متّ بدلا عنى .. وأخذت عقوبتى ودينونتى .. والآن كنت أسـتحق المـوت الزمنى .. لكنك أعفيتنى منه .. وغفرت لى، على أساس صليبك أيضاً.. وبدلا من عصا غليظة متمثلة فى فنطاس مازوت يسحقنى .. أو عصا خفيفة متمثلـة فـى "مرسيدس" يقطع أوصالى .. إذ بك تعفينى من هذا وذاك.. والأكثر تحملنى فـى **مركبة درِّية** يسمونها " شبحاً ".

✝ وما " شبحكم " هذا مقارنة **بمركباتى** (تث ٣٣ : ٢٦ ، ٢ مـل ٢ : ١١)؟ .. وما أخوك " عبد الملاك " هذا مقارنة بملائكتى ؟ .. إنى " أوصى **ملائكتى** بك لكى يحفوظك فى كل طرقك. على الأيدى **يحملونـك** لئلا تصطدم بحجر رجلك ". (مز ٩١ : ١١ ، ١٢).

● لم تحملنى فقط .. بل أكرمتنى **ورفَّعتنى** أمام زملائى، وأنا أنـــزل مـــن "الشبح".

✝ ليست رفعة تلك الرفعة الأرضية ؛ رفعة مجد العالم؛ الرفعة الموهومـــة.. بل الرفعة الحقيقية هى عندى أنا .. لمن تعلق بى .. " لأنه تعلق بى أنجيه. **أرفِّعه** لأنه عرف أسمى .... معه أنا فى الضيق. أنقذه وأمجده. من طول الأيام أشـــبعه وأريه خلاصى" (مز ٩١ : ١٤-١٦).

يغيب بسيط فى الحجرة .. تقلق عليه زوجتـــه .. فتـــدخل ، لتجـــده راكعـــا وقطرات من الدموع تبلل خديه .. تخرج مسرعة، لتعد له كوبا من الشاى، أو ما أشبه، لإنعاشه .. وقبل أن تنتهى من مهمتها يرن جرس " التليفون ":

● ألو .. من ؟.

يقولها " بسيط " .. فيأتيه الرد :

▲ أنا أخوك " عبد الملاك ".

● أهلا.

▲ " ما كنتش عاجِبنى وأنت فى العربية معايا.. ولأنى قلقان عليك باتصل بيك الآن .. خير .. طمِنى".

● كل خير .. أنا الآن بخلاف ما كنته معك فى السيارة .. أنا الآن بخير.

▲ " يعنى مافيش حاجة ".

● " كان فيه وانتهت " .. " على فكرة يا أخ " ملاك " الرب استخدمك – دون أن تدرى – لتكون ملاكاً يهدى خطواتى ثانية إلى جو الشركة معه.

▲ كيف ؟ .

● لقد كنت أقف على محطة الأتوبيس، منتظراً أن يدهســـنى فنطـــاس .. أو فى أحسن الأحوال أتوبيس.

▲ ولِمَ يا محبوب ؟! .

● لم أكن راضيا عن نفسى .. بل متوقِّعاً أن تمتد يد الرب علىَّ بالتأديب

.. فإذا بالرب يرسلك إلىَّ .. بديلاً عن الفنطاس .. مقدما لى رحمته .. ومظهـــرا لى نعمته الغنية.

▲ أتعرف لماذا ؟ .. لأنك حكمت على نفسك باستحقاقك للموت.

● خامرنى هذا الفكر، وأنا أصلى، عندما رنَّ جرس " تليفونك " لى.

▲ أَتَذَكَّر الآن سكاكين الصوان التى أوصى الرب يشوع بصـــنعها، لخـــتان غير المختونين من الشعب فى موضعٍ سُمِّى **بالجلجال** (يش ٥ : ٢ ، ١٠)..وقد اشتهر الجلجال بوصفه مكان قطع الغُرلة .. فيما يشير إلى موقع إدانة الذات الذى يتخذه المؤمن حاكماً على نفسه .. وأنت يا أخ "بسيط " كنت – حرفيا – تقف على محطة الأتوبيس .. لكنك – روحيا وتطبيقيا – كنت – حاكما على ذاتك – تقف فى **الجلجال** .. وبحسب فكرك، كان سكين الصوان العجيب الذى أشرعته على ذاتك ؛ هو هذا الفنطاس الهائل، الذى استسلمت – فى **انكسار قلـــب، وانســـحاق روح** – لقبوله مُصلَّتاً على جسدك.. هاشما لعظامك.. مفيضا لروحك .. ولم يكن مطلوبـــا منك – لغفران خطيتك .. وإعفائك من الحكم عليك بالتأديب – أكثر من هـــذا .. لأن " ذبائح الله هى **روح منكسرة** " (مز ٥١ : ١٧) .. والله ينظر إلى **المســـكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامه** (إش ٦٦ : ٢) .. إذ هـــو " قريـــب مـــن **المنكسرى القلوب** ويخلص **المنسحق الروح**" (مز ٣٤ : ١٨).

يطول حديثهما .. **يبرد** كوب الشاى .. فى حـــين **يلتهـــب** قلباهمـــا فيهمـــا (لو ٢٤ : ٣٢).

▲ شكراً للرب يا أخ " بسيط ".

● يستحق الحمد " لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته " (مز ١٠٧ :١).

* * * * * * * *

مضى الأسبوع .. و" بسيط " – وقد وصل اختياريا إلى الجلجال – سعيد .. وسبب سعادته، هو هذا الحق الجديد الذى أدركه ؛ وهو أن وصوله إلى الجلجال – حاكما على نفسه – أعفاه من التأديب ، بل كان أيضاً مقدِّمة لرد نفسه واسترجاع شركته مع الرب.

وفى أول الأسبوع التالى كان " بسيط " يجلس فى الاجتماع يستمع الى الخدمة .. وكانت عن ذبائح الخطية .. وبعدما تكلم الخادم عن ذبيحة الخطية التى يُدخل بدمها عن الخطية إلى الأقداس (فى خيمة الاجتماع) بيد رئيس الكهنة .. وكيف كانت تحرق أجسامها تماما – جلدها .. ولحمها .. وأكارعها.. وأحشاؤها .. وفرثها – خارج المحلَّة (لا ٤ : ٥ – ١٤) .. لاسيما تلك التي كانت تقدم يوم الكفّارة العظيم (لا ١٦) .. عرج إلى ذبيحة الخطية التى تؤكل .. ولا تُحرق (لا٦ : ٢٤ – ٣٠).

وقال – ضمن ماقال : ﴿ إن هناك فرقاً بين الذبيحتين ﴾.

﴿ فالأولى ترمز إلى ذبيحة المسيح فى كونها سوّت مشكلة الخطية تماماً أمام الله .. وسببت **غفرانا نهائياً وأبدياً لها** .. لأن " يسوع أيضاً لكى **يقدس** الشعب بدم نفسه **تألم** خارج الباب " (عب ١٣ :١٢) ، فيما يشير إليه **حرق** الذبيحة .. وإذ دخل إلى الأقداس (السماوية) بدم نفسه أوجد **فداء أبديا** لنا[1] (عب ٩ : ١٢) ﴾.

﴿ بينما الثانية ، لأنها تتناول مسألة غفران خطية بعينها فعلها واحد من الشعب فهى رمزياً تتناول **الغفران الزمنى** – المؤسس على ذبيحة المسيح أيضاً – لخطية فعلها المؤمن الذى سبق ونال الغفران الأبدى[2] .. وما الأكل من ذبيحة الخطية (الثانية) هذه إلا إشارة إلى إدراك المؤمن العميق بعظم الخطية التى فعلها .. فهو بذلك يتذكر فعلته.. وكأنما يتذوق مرارة طعمها .. آكلا الحزن والندم عليها.. وربما فعل كبطرس.. وانزوى باكيا بكاءً مراً [3] (لو ٢٢ :٦٢) .. إنه والحال هكذا يكون معترفا بخطيته .. قائما بالحكم على ذاته باستحقاقه الموت ، المنَفَّذ فى هذه الذبيحة رمزياً .. وبالتالى تُغفر له هذه الخطية **غفرانا زمنياً من التأديب** .. لأنه " إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى **يغفر لنا خطايانا** ويطهرنا من كل إثم " (١ يو ١ : ٩) ﴾ .

" و بسيط " يستمع ويصادق تماما على كل كلمة تقال .. و تأكد أنه عندما كان يقف على محطة الأتوبيس – منتظراً الموت – إنما كان **يأكل – بكل مرارة – من ذبيحة الخطية** .. مما أدى إلى غفران خطيته، غفراناً زمنياً.

إلا أن ما أسعد قلب بسيط، وحلّق به عاليا، هو ماقاله الخادم، عندما وصل إلى العبارة التى قال أنها تكررت فى الكتاب أكثر من مرَّة ؛ وهى : " **فى المكان** الذى تُذبح فيه المحرقة تذبح ذبيحة الخطية أمام الرب" (لا ٦ : ٢٤ .. وشواهد أخرى).

واستطرد الخادم يقول :﴿ مامعنى هذا ؟.. معناه؛ حيث أن المحرقة لا ذكر فيها للخطية .. بل كانت تُوقد بتمامها لله ، لتصعد هذه المحرقة وقود **رائحة سرور للرب** (لا ٢ : ٢) .. لذلك **فالمكان الذى تُذبح فيه المحرقة** تشمله عين الله بالقبول والرضا .. إذ منه ترتفع إلى العُلا رائحة السرور التى تُشبع قلب الله.. والمخطئ الذى يقدم ذبيحة خطية، يذبحها فى هذا المكان .. ومن يقف فى هذا المكان يكون بالتبعية مندرجاً تحت مظلة **قبول الله للمحرقة** .. بل **ومسرته بها** .. فيكون فى مركز **القبول كقبول المحرقة تماماً**.. وكأن **الرائحة التى تِسرُّ الله تتصاعد منه هو أيضا** ﴾.

﴿ وكنا ننتظر أن يحدث الآتى مع المخطئ من الشعب قديماً .. فنجده .. يسحب ذبيحة خطيته – **بعيداً** عن هذا المكان – ليذبحها .. فلا شأن له – بعدما أخطأ – بالقبول ومكانه، أو برائحة السرور .. وبعد ذلك يأكل الآكل منها فى نفس المكان البعيد، آسفا نادما .. وما يشير إليه ذلك من عدم قبوله أمام الله إلا بعدما يعترف بمرارة ما تم اقترافه أولا .. فتُغفر الخطية .. وبعد ذلك يتقدم متردداً إلى موضع ذبح المحرقة .. ضارعاً متوسِّلاً إلى الله أن يعيد قبوله فى هذا المكان ثانية – كإعادة قيد الطالب المفصول من المدرسة مثلا – وينتظر الموافقة .. ولديه شك فى إعادة أهليته للوقوف فى مكان المحرقة ثانية .. ويترقب بارقة أمل من الله .. يرهصها له .. فيتقدم وَجِلاً هيَّاباً.. ولا يستعيد يقينه بتمام قبوله إلا بعد أن تخطو قدماه أعتاب هذا المكان .. مكان ذبح المحرقة ﴾.

﴿ لكن الكتاب لا يقول هذا .. فخطيته (مع غيرها) مغفورة – غفراناً عاماً لمدة عام – فى ذبيحة الخطية الأولى .. التى تُذبح.. ويُدخل بدمها إلى الأقداس.. وتُحرق خارج المحلة .. فى يوم الكفارة العظيم (لا١٦).. كما وقد سبق له أن

أصبح مقبولا فى المحرقة.. ومكانه الصحيح الآن هو **مكان ذبح المحرقة** .. حتى لو أخطأ.. وما عليه بعد خطئه الجديد إلا الإتيان بذبيحة عن خطيته التى أخطأ بها .. ثم ذبحها فى **مكان المحرقة** .. فيما يشير ذلك كله الآن إلى أن خطايا المؤمن الماضية والحاضرة والمستقبلة مغفورة غفرانا أبدياً فى ذبيحة المسيح المرموز إليها بذبيحة الخطية الأولى .. كما أنه مقبول فى محرقة المسيح كقبول المسيح أمام الله تماماً ! .. حتى لو أخطأ !! .. وما عليه - إن أخطأ بعد ذلك - إلا أن يسحب السكين، لا على ذبيحة حرفية للخطية.. بل سكينا معنويا على ذاته ، حاكما عليها بالموت ؛ الموت الذى ماته المسيح بدلا منه .. فيكون كمن ذبح الذبيحة الثانية - ذبيحة خطيته التى أخطأ بها - وأكل منها .. على أنه وقتما يفعل ذلك إنما يفعله وهو **فى مركز وموقع المحرقة** .. فيما يشير إلى قبوله أمام الله، القائم فى جميع الأحوال .. والحاصل فى جميع الحالات .. حتى فى وقت خطئه .. **نعم حتى فى وقت خطئه**[٤] .. فكم بالحرى فى باقى الأوقات.. إنه مركز قانونى له أمام الله .. وهو ليس قبولا على مضض .. بل - فى كفاية المحرقة ورائحتها الطيبة - هو نفسه مقبول كقبولها .. وله نفس رائحة المسرَّة الصاعدة منها[٥] ﴾ .. هكذا كان يقول الخادم .

يندهش " بسيط " أيما اندهاش لهذا الكلام .. ويتساءل فى نفسه متعجبا : أعندما كنت أقف على محطة الأتوبيس، كنت أقف - معنويًّا - **فى المكان الذى تُذبح فيه المحرقة** ؟ .. فيأتيه هاجس داخلى، ولم لا ؟ .. ألم تكن وقتها تقف فى **الجلجال** .. حاكما على ذاتك بالموت .. مصلِّتا الفنطاس عليها ؟.. ألم تقم وقتها **بسحب السكين** على ذبيحة معنوية للخطية .. دائنا، الخطية، مرة أخرى .. بعد أن سبق إدانتها أبديا فى صليب المسيح ؟.. ألم تكن وقتها أيضاً **تأكل (معنويا) - فى مكان مقدس (معنوياً) (لا ٦ : ٢٦) - من لحم هذه الذبيحة** حزناً وندماً .. **فلتعلم أنك فى هذه جميعها كنت تقف فى المكان الذى تذبح فيه المحرقة**.. بل هو مركز أنت تقيم فيه بصفة دائمة .. وبصفة خاصة عندما كنت تقف على **محطة الأتوبيس**.

" أأنت محطة للأتوبيس .. أم جلجال .. أم مكان لذبح ذبيحة الخطية .. أم مكان لأكلها .. أم مكان لذبح المحرقة " ؟ .. يهمس "بسيط" ويضيف : " فيالك من محطة فريدة للأتوبيس ".

تنتهى الخدمة .. وينتهى الاجتماع .. ويعود كلٌ إلى بيته بوسيلته للمواصلات .. إلا " بسيط " .. قدماه لم تحملاه .. ولا الأتوبيس .. ولا حتى " مرسيدس ".. لم يعرف – من فرحته – كيف عاد .. هل عاد طائراً ؟.. أم حملته الملائكة إلى منزله؟.. أم انتقل به مكان ذبح المحرقة – الذى أيقن أنه يقف فيه – متحركا به إلى منزله ؟.. لا يدرى.

وعلى سريره ، فى تلك الليلة .. هل نام .. أم انتقل إليه مكان ذبح المحرقة .. أم انتقل هو إليه .. لينام فيه .. قرير العين ؟ .. لا يعرف.

وفى مقر عمله فى اليوم التالى .. هل جلس إلى مكتبه .. أم انتقل إليه مكان ذبح المحرقة .. أم انتقل هو إليه .. ليجلس فيه .. مستريح القلب ؟ .. لا يعلم.

وهكذا دواليك ، لازمه – ولا أقول طارده – مكان ذبح المحرقة – كظله – أينما راح أو جاء.

والحقيقة أنه فى مكان ذبح المحرقة – علم أو لم يعلم .. شعر أو لم يشعر فهذا مركز قائم فى كل الأحوال والأوقات .. " لبسيط " .. و " غير بسيط " من المؤمنين .. تم الوصول إليه فى كفاية محرقة المسيح وذبيحته.

فما أسعدنا بعمل قام به المسيح على الصليب .. أوقفنا جميعاً – أى جميع الذين استظلوا بذبيحته – فى دائرة القبول الأبدى أمام الله .. ودائرة تنسُّمه رائحة السرور منا، فى كفاية هذا العمل.

ألم تهتف الملائكة – وربما دون إدراك كامل منها وقتها – بالعبارة الرائعة : " وبالناس المسرة " (لو ٢ : ١٤).

أى أناس أولئك ؟.. أنهم **المسيح** أولا .. ابن الإنسان الـذى أشـبع وأدخـل **السرور** إلى قلب الله فى كمال حياته (مت ٣ : ١٧) .. وكمال محرقته .. وكمال ذبيحته .. يأتى خلفه – بمسافة رمزية .. قدَّرها الناموس بألفى ذراع بالقياس (يش ٣ :٣) – **أولئك الذين وصلوا – فى كفاية عمله – إلى المكان الذى تـذبح فيـه المحرقة** .. فيا للقبول.

* * * * * * *

أما محطة الأتوبيس، فلو أن هناك من البشر من يطلع على السرائر، وعلم ما كان يفكر فيه " بسيط " وهو واقف عندها ، لدخلت التاريخ.

إن جبالا وعرة كجبل المُرياً (تك ٢٢ :٢).. وجبل مصعر (مـز ٤٢: ٦) – سجلها التاريخ الكتابى.. لا لشئ إلا لأنها ارتبطت برجال الله .. المجرب منهم – كإبراهيم (عب ١١ : ١٧) – ومنحنى النفس ، منكسر الروح – كداود (مـز ٤٢ :٦).

وأخرى مقفرة .. تهجع فيها الأسود .. وترتع النمـور – كـرأس أمانـة .. ورأس شنير وحرمون (نش ٤: ٨) – سجلها ذات التاريخ .. لا لشـئ إلا لأنـها التقطت مناجاة بين عريس النشيد وعروسه.

ونهر كريث – مع كونه مكاناً موحشا لا تطأه قدم .. وإلا لما اختبأ عنده إيليا (١ مل ١٧ : ٣) – يظل على مدى الأجيال شاهداً شامخاً على أمانة الرب مـع عبده ونبيـه.

وقس على هذا ....

وعلى العكس .. فإن غبارا من أراضى الرافضين للكلمة، ومرتبطـا بهـم، يُنفض عن أقدام المبشرين بالسلام عائداً إلى أصحابه وأراضيهم (مت ١٠ :١٤).. حتى لا يكون لهذه الأراضى، أو أى أثر منها ، ذكر .. لا هنا .. ولا فى سجلات الله .. يوم افتقاد هؤلاء المبشرين(٦).

وكفر ناحوم المرتفعة إلى السماء .. ستُهبط إلى الهاوية (مت ١١ : ٢٣).. محذوفة – مع أسماء ساكنيها – من هذه السجلات .. لا لشئ إلا أنها رفضت من هو أعظم من يونان.

فإن لم تدخل التاريخ محطة " بسيط " للأتوبيس، فإنها قد دخلت الأبدية!.. وسيكون لذكرها هناك شأن آخر .. كيف ؟.

ألن يكون " بسيط " واحداً من الذين سيُظهر الله – من خلالهم – " فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع "[٧] (أف ٢ : ٧) ؟.. أوَلَنْ تُستعلن – فى الأبدية – هذه النعمة الفائقة فى تعامل الله مع عبده المخطئ " بسيط ".. **وبالتبعية ما ارتبط بها من أمكنة ، كهذه المحطة** ؟.. فياللعجب !.. **والأعجب ؛ أنه " حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً "** (رو ٥ : ٢٠) !!.

يسترجع " بسيط " المكتوب ويتفكر ؛ كيف نصب يعقوب حجراً ، تذكاراً للمكان الذى ظهر له الله فيه (تك ٢٨ : ١٨) .. وكيف أقام صموئيل حجراً بين المصفاة والسنِّ .. ودعاه حجر المعونة **تذكارا** لأمانة الرب (١ صم ٧ : ١٢).

ويقول لنفسه : ﴿ إن لم يكن باستطاعتى إقامة نصب تذكارى على محطة الأتوبيس هذه ، فلا أقل من إقامته فى قلبى .. تذكاراً لمعاملات الله الحبيَّة معى .. " **وتتذكر** كل الطريق التى فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة فى القفر.... " (تث ٨ : ٢) ﴾.

﴿ وليكن مرورى على هذه المحطة مشجعاً لى على هذا التذكُّر ﴾ .

﴿ وليكن وقوفى اليومى عليها .. لا لانتظار أتوبيس أو " شبح " بل – رافعا للرأس (لو ٢١ : ٢٨) – منتظراً من السماوات " مخلصا هو الرب يسوع المسيح " (فى ٣ : ٢٠) .. مع الفرسان العلويين .. فى المركبات السماوية (٢ مل ٢ : ١١) .. لاختطافى – مع القديسين (١ تس ٤ : ١٧) – لا من محطة للأتوبيس أو المترو .. ولا من ميناء جوى أو بحرى .. بل – و يا للقبول – **من مكان ذبح المحرقة**.. رأسا – ودون " ترانزيت "– إلى بيت الآب (يو ١٤: ٢)﴾.

أصبت يا " بسيط " ؛ فإن مكان ذبح المحرقة ، هو المحطة الفريـدة التـى ينطلق منها أتوبيس المجد ، بالمسافرين إلى بيت الأب .. فيا للمجد .

ألا أعطيتنا أيها الفادى العظيم عرفانا بالجميل .. يرفعه لك عصاة بالأصـل وبالطبيعة .. وخطاة بالفعل وبالفكر .. وحتى بعدما عرفوك لا زال النقص يغشاهم .. والضعف يتملكهم (عب ٥ :٢) .. لكنهم فى كفاية عملك ، وصلوا إلى ماوصلوا إليه من قبول وملء وكمال فيك .. لك الحمد والتسبيح إلى أبد الآبدين ..

آمــيــن .

حجرة الفئران

ملحوظة : برجاء قراءة الموضـوع
السـابق قبل قراءة هذا الموضـوع

فئران المدرسة

"ولكن إذ قد حُكم علينا نؤدب من الرب لكى لا نُـدان مـع العالم" (١ كو ١١ : ٣٢).

لا يذكر " **راهب** " بالتحديد فى أى يوم من أيام عامه الدراسى الأول صدمته هذه المعلومة؛ " **حجـرة الفـئران** " .. فقد كان له من العمر أربع سنوات ونصف .. يوم دخل المدرسة لأول مرة .. لكنه استمر نيفاً من سنوات طفولته بعد ذلـك يتذكر – **بكل رهبة** – تلك الصدمة.

حدث هذا منذ أكثر من نصف قرن .. وقت أن كان للتعليم فى المـدارس – والكتاتيب – أسلوب يختلف عما هو متبع الآن.

لم تكن الأحذية فى تلك الأيام تُشترى جاهزة .. بل كان يتم تفصيلها.. ثـقيلة .. نعلها من " الجلد الزفر " .. ينتقى العميل (الزبون) منه أكثر الأنواع سـمكاً .. وزيادة فى المتانة، يطلب من الإسكافى (صانع الأحذية) أن يركِّب لكل فردة مـن الحذاء ثلاثة فصوص هلالية الشكل من الحديد.

برفقة والده، ذهب " **راهب** " – فرحاً – إلى محل الأحذيـة .. ليرسـم لـه الإسكافى " مقاس " رجله على قطعة من الورق المقوى (الكرتون) .. يتم بعـدها تفصيل الحذاء طبقاً لهذا النموذج.

لن ألبس " الصندل " بعد اليوم .. لقد كبرتُ .. وصرتُ رجلاً .. " زى بابا" .. يلبس حذاء محترماً .. مقفولا .. مرصَّعاً بالفصوص الحديدية .. هكـذا كـان يتغنى " راهب " حالماً.

فى طريقه إلى المدرسة، تبددت فرحة الطفل بالحذاء الجديد .. لم يكن حذاء ثـقيلا، بل كان كرباً ثـقيلاً.

لم يكد الطفل يفيق من محنة تكبيله بالحذاء الأليم هذا، حتى واجهته صـــدمة "**حجـــرة الفـــئران**".

كان " الطابور " المدرسى يسير بهذه الأحذية فى طريقه إلى حجرات الدراسة (الفصول)، كفيلق عسكرى يدب دبيب الحرب.

وما أن ينتهى " الطابور " من عبور الفناء والوصول إلى أول درجات السلم، حتى تنادى مدِّرسة الفصل، التى تتقدم الطابور، طالبة من التلاميذ أن يسيروا على " طراطيف صوابعهم" على حد قولها .. وبأن من حذاؤه ثـــقيل، أو له دبيب عال، فعليه أن يخلعه ويحمله .. ليلبسه بعد ذلك فى الفصل .. ويسير بالجورب .. وعلى أطراف أصابع قدميه أيضاً.

كان يساعدها على تنفيذ مطلبها هذا، خلو أيدى التلاميذ من أيـــة حقائـــب أو كتب أو كراكيس أو أدوات أو خلافه .. فقد كانت هذه تُسلَّم إليهم فى بداية اليـــوم الدراسى – بأسمائهم – ثم تُجمع فى نهاية اليوم.

وكانت المدِّرسة تهدد ؛ بأن الطريق إلى الفصول يمـــر بحجـــرة " حضـــرة الناظرة " .. ومن يُسمع له دبيب من حذائه، أو همس من فمـــه، فـــإن " **حضـــرة الناظرة** " ستسحبه سحباً من الطابور .. وتحبسه حبساً فى "**حجـــرة الفـــئران**".. وحيداً مع هذه الكائنات القارضة .. فى ظلام بهيم.

وهى نفس عقوبة الكسالى ، والمتأخرين فى الدراســـة.

أين تقع حجرة الفئران هذه ؟!.. وماشكلها ؟!.. أحدٌ لم يخبـــر الطفـــل.. ولا حتى مدرِّسة الفصل .. لعلها فى مكان قميئ .. ذى شكل رهيب .. يتناســـب مـــع صرامة العقوبة.

لم يهتد الطفل إلى مكانها أو شكلها، إلا عندما أسرَّ إليه زميل بأنها تقع تحت بئر السلم.

من بعيد .. وبكل توجس **ورهبة** .. عاينهـــا " **راهـــب** " .. فوجـــدها أشـــبه " بدولاب" خشبى .. محشور فى قاع معتم .. ناتج من تقفيل " القلبـــة " الســـفلية

للسلم.. لها باب خشبى .. صغير .. لكنه يكفى لحشر طفل .. يلج من خلاله إلــى المصير المجهول.

الباب مغلق .. لكن طفلنا – بخياله – ثــقب هذا الباب – وفى مخيلته – رأى ما لا يوصف من بشاعة وقتام.

وفى المقابل كانت " أبلة وديدة " مدرسة الفصل دمثــة الخلــق .. ودودة .. هيئتها مريحة لنفسية الطفل .. فيما عدا تهديداتها بالحبس فى " حجرة الفــئران "، بيد " حضرة الناظرة ".

أما " حضرة الناظرة " نفسها، فقد رآها صغيرنا لأول مرَّة .. ذات يوم.. فى "طابور" الصباح .. حين فوجئ التلاميذ " بمدرِّسة الألعاب " تصرخ بأعلى صوتها – إذ لم يكن " ميكروفون " بعد – بالوقوف انتباه .. وعدم التلفت، أو الحركة، أو الكلام، أو الهمس .. " فحضرة الناظرة " فى الطريق.

انكمش الولد فى نفسه .. وأطل بعين الريبة .. فى انتظار تشريف الحضــرة الكبيرة.

هلَّت الناظرة .. وفى إثرها بعــض المدرســات .. يهــرولن .. بملابســهن العصرية – بمقياس ذلك الزمان – ثم بعض الرجال من موظفى المدرسة .. وفى مؤخرة المسيرة بعض " الدادات " ، يميزهن شال مــن الشــاش الأســود حــول رؤوسهن ورقابهن .. والطفل يتابع الرتل المهيب ، بكل ترقب .. حتى توقــف .. لتستدير الناظرة فتواجه " الطابور".

حملق الطفل بفضول .. ولشد ما كانت **رهبته** أن وجد الناظرة تنظر إليــه – دون كل التلاميذ – بعين واحدة غريبة .. ولباقى التلاميذ ، بالعين الأخرى.

أغمض الطفل عينيه برهة، ليهرب من عينيها.. فتحهما ليجد الناظرة مازالت تنظر إليه .. عينها مركزة عليه .. أراد أن يبكى .. خانه الصوت.

لم يسمع ما قيل فى " الطابور " يومها .. ولا ردد مع زملائه تحية العلم فى ذلك الصباح .. كان هتافهم يأتيه كما من كوكب آخر : " يعيش فاروق الأول ملك

مصر والسودان " .. إنما كانت المرة الوحيدة التى يتذكر فيها أن ملابسه قد ابتلت .. دون أن يشعر.

سار فى الطابور حتى بداية السلم .. بسرعة سلّ حذاءه الثـقيل من قدميه .. وتأبّطه .. مما جعله يتخلف إلى نهاية الطابور .. ثم سار على أطراف أصابعه .. بملابس مبللة .. بلا حذاء .. بلا دبيب .. بلا همس .. وربما بلا تنفس أيضاً.

لهفى عليك .. فأى رهبة تلك التى دهتك يا " راهب ".

وفى يوم آخر .. نزلت الناظرة إلى الفنـاء، خـلال " الفُسـحة "، لتتـفقد الأحوال.. تراقب الأطفال يجرون فى مرح فى أحلى سنوات عمـرهم .. رآهـا طفلنا .. فتوقف مرحه .. وتوجّس شرا .. زاد من رهبته أن نما إلـى مسـامعه ضوضاء آتية من بعيد .. أخذت الضوضاء تزداد .. صارت هديرا هائلا، صادرا من حشود خارج أسوار المدرسة .. تهتف : " يحيا النحاس باشـا " .. لـم يأبـه الأطفال بشىء .. إلا طفلنا .. خاف أن تحسبه الناظرة ضمن الهادرين بالضوضاء .. فتأخذه بجريرتهم .. انزوى مركزًا بصره عليها استعداداً للهـرب، إن هـى اتجهت ناحيته .. رآها تنظر إليه بعينها الغريبة .. جرى بعيداً .. عينها تلاحقه .. اختبأ خلف أحد أعمدة " بواكى " الفناء .. رآها تستدير ولا تواجهه .. رأى وجهها من أحد جوانبه .. فإذا به الجانب الذى يحمل العين الغريبة .. وإذ بهذه العين تطلّ عليه من جانب الوجه .. وتنظر إليه.. ويخرج منها بريق غريب.

جرى ليختبئ خلف تكعيبة .. انتظر برهة .. خرج من مخبئـه .. مازالـت الناظرة فى الفناء .. لكنها ابتعدت إلى نهايته .. التفت إليها فإذا بعينهـا الغريبـة ترصده عن بعد .. وشعاعها البرّاق يتجه إليه مباشرة.

إنها تستطيع أن تراه أينما وُجد هو .. وينفذ إليه شعاعها البرّاق أينما كانـت هى .. **فتباً " للفسحة " .. و" الطابور " .. والمدرسة بجملتها.**

وهكذا كلما ظهرت حضرة الناظرة أمام طفلنا طاردته بعينها الغريبة.. وكلما اختفت خرج شعاع عينها من مخزون ذهنه .. بارقا .. وامضا .. مخترقا سرِّيته .. فكان يراها فى كل ركن من المدرسة .. فى حضورها.. وفى غيابها.

ماذا تريد " حضرة الناظرة " منه ؟! .. سأل الصغير نفسه .. لعله الضحية القادمة " لحجرة الفئران " .. وما ملاحقتها له بعينها البارقة إلا محاولة منها لإثبات مذنوبيته قبل أن تنفذ فيه حكمها المشئوم.

لا يذكر طفلنا متى ابتدأ يحاسب نفسه ؟ .. هل فى عامه الدراسى الأول .. أم الثانى ؟ - الذى فيه كان قد اقترب من سن السادسة - يوم ابتدأ المسكين فى هذا التاريخ الباكر من طفولته **يمتحن نفسه** - بين الحين والحين - باحثا عن جرم يكون قد اقترفه .. ويستحق نظرات الناظرة وعقوبتها.

كان يتساءل .. لم يسرق أحداً .. ولم يحلف .. ولم يكذب .. ولا كان له شأن بهتاف جماهير لا يفهم منه - أو عن أحزابهم - شيئا .. حتى حذاؤه ، حرص أن يكتم وقعه ، فلا يسمع له دبيب مخالف للتعليمات .. فلماذا تنظر إليه حضرة الناظرة ؟.. وما لها به ؟.

أفتكون " فريال "، زميلته فى الفصل ، قد اشتكته " لحضرة الناظرة " .. يوم تزاحم التلاميذ على السلم .. ودفعوها لتلتصق به .. فلامست يده من جسدها ما لامست .. وظن أنها لم تشعر.. لكنه فوجئ بها تنظر إليه نظرة .. رجَّح أنها نظرة استنكار ؟ .

ألهذا .. أم لسبب مجهول تطارده الناظرة بعينها ؟.

ربما لم يكن هو الطفل الوحيد فى هذه المدرسة الذى عانى ما عانى، نتيجة الخوف من " حضرة الناظرة " .. إن أحداً من أمثاله الخائفين لم يخبره .. لكن المؤكد أنه واحد منهم .. إن لم يكن على رأسهم .. وذلك - كما أدرك فيما بعد - بسبب تربيته المثالية فى مدارس الأحد .. التى كانت تقدم الناموس .. وتؤخر النعمة .. " والطفل المؤدب يروح السما .. واللى يكذب يروح النار ".. وينتهى الدرس، دون التطرق لنعمة الله المخلصة للكذابين وغير المؤدبين .. وقس على ذلك.

لم يبح الطفل بمخاوفه لأحد .. ومرت أيام طوال، قبل أن يسمع من ذويه أثناء تناولهم أمور المدرسة ، أن "حضرة الناظرة " نشيطة مجتهدة.. تدير المدرسة

بكل حزم مطلوب .. لتخريج أجيال منضبطة .. لكنها ياخسارة !.. بعين واحدة .. **فالأخرى من زجاج.**

لم يفهم الصغير بالطبع فى هذه السن المبكرة، ماذا يعنى بالضبط أن يكون للشخص عين من زجاج .. إلى أن ترك هذه المدرسة بعد ثلاث سنوات من التحاقة بها .. علم بعدها أن " حجرة الفئران " إن هى إلا حجرة " **فئرانها وهمية**[8] ".. وأن العين الزجاجية تبرق فى كل الاتجاهات .. ويراها الجميع تنظر إليهم .. **دون أن ترى هذه العين شيئا .**

لم تكن غير هذه الأوهام " المفبركة " طريقة **وحيدة** للتربية وقتها.. وترويعاً لا يسبقه أى أسلوب ودىٍّ للتشجيع أو الإثابة .. ربما ساعدت هذه الطريقة على تأصيل بعض المبادئ لدى الأطفال كالانضباط والالتزام .. إلخ ..لكنها كانت خصماً من رصيد السعادة الطفولى لديهم.

ولما كان من الممكن تأصيل هذه المبادئ بأساليب تربوية أخرى .. وعدم اللجوء إلى هذه الطريقة إلا فى حالات خاصة – إن كان ولا بد – وبعد استنفاذ كل الوسائل الأخرى .. فبئس ما أمست هذه الطريقة **وحدها** – بأوهامها المرعبة – أسلوباً ومنهاجاً.

فئران الحياة

صار " راهب " شابا .. فـرجلاً .. فهكلاً .. فشيخاً .. واكتشـف مـع الأيام أن هنالك فى الحياة حجرات كثيرة للفئران.

بعضها وهمى من صنع خيالنا .. نرتعـد منـه دون داع .. ونخشـاه دون ضرورة.

وبعضها حقيقى .. ندخله أحيانا رغما عنا .. وأحيانا أخرى بأرجلنـا .. إن نحن خالفنا قانونا .. أو قصَّرنا فى أداء واجب .. أو تراخينا فيما هو منوط بنا من عمل .. أو أضعنا ما نحن مؤتمنون عليه من وقـت .. أو فرطنـا فيمـا نحـن حاصلون عليه من صحة .... إلخ.

على أنه إن **أهملنا** فى القيام بمسئوليتنا الروحية من عيشة بالقداسة .. أو إن **تراخينا** فى استخدام مواهبنا .. أو **تقاعسنا** عن استثمار وزناتنا[٩] .. أو **كان لوقع أقدامنا** – فى السلوك – دبيب مخالف لإيقاع المكتوب .. أو **كنا حـاذين أرجلنـا** بأحذية العنف والخصومات والحروب .. لا باستعداد إنجيل السلام (أف ٦ : ١٥) .. أو إن كان لنا غيرة مُرَّة **وتحزب** فى قلوبنا (يع ٣ : ١٤) .. أو أفكارنا (فـى ٢ : ٣) .. أو أعمالنا (غل ٥ : ٢٠) **بعمل تكتلات وأحزاب** داخـل الكنيسـة .. فهذا يهتف لبولس .. وذاك يهدر لأبلُّوس (١ كو ١ : ١٢) .. أو راحت **أرجلنا، أو حتى أفكارنا**، إلى فريال أو غير فريال، فى شهوة غير مقدسة .... إلى آخـره .. مع عدم خضوعنا – بعد كل هذا – لعمل الشفيع – **كخطوة أولى** – ثم عدم حكْمنا على أنفسنا – **كخطوة ثانية** – أقول إن فعلنا هذه – كلها أو بعضها – أدَّى ذلـك بنا إلى حجرات حقيقية .. لفئران أشرس من الحقيقية.

إنها **حجرات التأديب الإلهى** .. بفئران أعتى سبيلا.

أو ليست عوامل المرض فئراناً ولو من نوع خاص.. صغير جداً عن أن يرى بالعين المجردة .. لكنه ينهش أقسى من الفئران .. وهى أكبر حجماً.

وإن كان **المرض** كفئرانٍ تنهش البدن، فإن **ظروفاً وتجارب مُحرِقة** كفيلة بأن تعض فى النفس عضاً معنوياً تحسدها عليه فئران المدرسة، وميكروبات المرض، مجتمعة معاً.. فداود – عندما خيَّره جاد النبى بين ثلاثة أنواع من التأديب – اختار **الوبأ**، لأنه أهون من **المجاعة**، ومن **الهزيمة** فى الحرب (٢ صم ٢٤ : ١٢ -١٥).

وإن كان التأديب الإلهى يستخدم مثل هذه الفئران وحجراتها.. لكن ليس كل مرض حَرفىٌّ، أو ألم معنوى هو تأديب إلهى .. إنما التأديب الإلهى يمتد ليشمل المرض .. والتجارب .. وغيرها من العوامل المختلفة .. التى يسمح الله للمؤمن بالدخول إلى دهاليزها وحجراتها .

لقد كان أسلوب الترويع المدرسى – فى قصتنا – أسلوباً خاطئاً للتقويم.. إذ كان هو **الأسلوب الأوحد** .. فلم تكن تسبقه أساليب تشجيعية أو حبيَّة .. ولا حتى إن سبقته مثل هذه الأساليب كان ينبغى أن يقوم على **الأوهام**.

أما أسلوب الله فى تعامله مع أولاده بالتأديب فإنه يختلف تماماً.

فليس تأديب الرب وهما .. ولا هو أول حلقات رد نفس المؤمن .. بل آخرها .. بعد أن يستنفذ الله كل وسائله الحبية معنا.

أشاعت " أبلة وديدة " جوًّا ودِّياً بين التلاميذ ، هوَّن على " راهب " رهبته من حضرة الناظرة ، وشجعه على استمراره فى الدراسة بتفوق .. ولولاها ، لكان لمستقبله شأن آخر.

أما **وسائل الله الحُبيَّة**، فتتوارى وراءها دماثة " أبلة وديدة " .. وهى تعمل كدافع تشجيعىٍّ قوىٍّ للمؤمن .. حتى يواصل مسيرته .. راكضا فى الميدان (اكو ٩ : ٢٤).. غير عاثر (يه ٢٤).. طارحاً كل ثقل (عب ١٢ : ١) .. وحاكما على نفسه، إن هو أخطأ (١ كو ١١ : ٣١).

وهى تتنوع بين همس للروح القدس فى السريرة (مز ٥١ : ٦) .. أو جزء من المكتوب.. أو فقرة من عظة .. أو ظروف يسوقها الرب فى طريق المؤمن تكاد تنطق بأقوال الرب .. وذلك حتى يرعوى المؤمن ، ويرجع عن خطئه .. فلا يقع عليه التأديب.. كل هذا بعمل الشفيع المحب .. وقد رأينا أن الرب استخدم صياح الديك .. وهروب السمك .. لرد نفس خادمه ورسوله بطرس ردًّا كاملا.. إعفاءً له من التأديب.

ونتيجة لهذه الأساليب الحُبيَّة ، إن حزن المؤمن – كبطرس– واعترف بخطيته .. آكلا من ذبيحة الخطية – إن هو أخطأ – أو أقر بتقاعسه عن القيام بمسئولياته – إن هو تقاعس – حاكما على نفسه بالموت فى هذه أو تلك .. بخصوص ما فعله من خطأ، من ناحية .. وما لم يقم به من مسئوليات من الناحية الأخرى .. ومن الناحية الثالثة ، بخصوص مالم يفعله من أخطاء ؛ ألا وهو الخطية الأصلية الساكنة فيه .. والكامنة كمونا كمصدر لكل خطية فعلية.. قائلا لنفسه: أنا أستحق الموت – فى كل الأحوال – أخطأت أم لم أخطئ .. إن فعل هذا، يقول الرسول :" **لما حُكم علينا** " (١ كو ١١ : ٣١).

أما إن كابر .. أو أهمل .. أو تقاعس .. أو تهاون .. أو استمرأ.. أو .. أو .. " **فقد حُكم علينا** " (١ كو ١١ : ٣٢).

والحكم يكون دائما مؤسسا على إجراءات قانونية .. أهمها إثبات الواقعة بطرق الإثبات السليمة.. وإلا كان حكما مشوبا بفساد فى الاستدلال ، وعدم صحة فى الإجراءات.

والإجراءات الإلهية لاثبات الواقعة تفوق التصور .. إذ لا تخفى عليه خافية.

كانت عين " حضرة الناظرة " تتابع طفلنا أينما رآها.. وتلاحقه فى الخيال وقتما لا يراها .. طاردته أينما ظهر .. واخترقته أينما اختفى .. لم يقدر أن يهرب منها .. ثم ظهر فى ختام الأمر أنها عين زجاجية .. لا راحت ولا جاءت .. وأن ملاحقتها له هى ملاحقة وهمية .. لا تكشف سرًّا، ولا ترصد إثماً .. لا تسجِّل ذنباً، ولا تحمِّل إصراً.

أما عين الله الفاحصة فتخبرنا عنها رسالة العبرانيين بالقول :" وليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل **كل شئ** عريان ومكشوف **لعيني** ذاك الذى معه أمرنا" (عب ٤ : ١٣).. والرائى يكتب :" **وعيناه** كلهيب نار"..والنبى يكتب :" أين أذهب من روحك **ومن وجهك** أين أهرب. إن صعدت إلى السموات فأنت هناك. وإن فرشت فى الهادية فها أنت .... الظلمة أيضا لا تظلم لديك والليل مثل النهار يضئ. كالظلمة هكذا النور" (مز ١٣٩ : ٧-١٢).

كان " راهب " صغيراً عندما امتحن نفسه خوفاً من عين الناظرة .. لم يصل وقتها إلى مستوى " بسيط " .. واكتفى بامتحان نفسه فقط بين الحين والحين .. وهذا كثير جداً .. بل غير مفروض على طفل مثله.

أما " بسيط " فبعد أن امتحن نفسه – انطلاقا من أن عين الله ترى كل شئ .. وأن الواقعة قد رُصدت– حكم على نفسه – انطلاقا من أن الآب السماوى " يحكم بغير محاباة " (١ بط ١ : ١٧) – لأنه طالما أن هناك – فيما فعله – ما يستوجب الحكم والإدانة .. فليس هناك إلا واحد من اثنين .. **إما أن يحكم على نفسه .. وإما أن يُحكم عليه.**

ولما كان قد حكم على نفسه – كما رأينا – لذلك لم يحكم عليه.

إلا أن العلاقة بين " بسيط " والله تختلف عن العلاقة بين " راهب " والناظرة.. فهو مجرد تلميذ .. وهى "حضرة الناظرة " .. بينما " بسيط " هو ابن لله أبينا .. أبى الأرواح (عب ١٢ : ٩).. وهى علاقة بنوة حبية .. وعلاقة دائمة لا تنقطع .. إن حكمنا على أنفسنا .. أم لم نحكم عليها.

نعم .. يظل الله آبانا حتى إن لم نحكم على أنفسنا .. وذلك بدءاً من رصد الواقعة؛ " **أبوك** الذى يرى فى الخفاء" (مت ٦ : ٤).. وإلى وقت أن يحُكم علينا ونُؤدب .. وعلى طول الخط هو أبونا.

بل – بالحرى – **لأنه أبونا** ، فهو يؤدب أولاده .. " لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد **كل ابن** يقبله .... **فأى ابن لا يؤدبه أبوه** . ولكن إن كنتم بلا تأديب قد صار الجميع شركاء فيه فأنتم نغول لا بنون . ثم قد كان لنا آباء أجسادنا

مؤدِّبين وكنا نهابهم (رغم كونهم آباء أجسادنا لا أرواحنا). أفلا نخضع بالأولى جدًّا **لأبى الأرواح** فنحيا (عب ١٢ : ٦-٩).

كما أننا نظل أيضاً **أهل بيت الله** " (أف ٢ : ١٩) ، حتى وقت تأديبنا .. لأن ابتداء القضاء (وهو هنا التأديب) هو من **بيت الله** أولاً (١ بط ٤ : ١٧).

لقد فعلها " بسيط " .. وحكم على نفسه .. فأفلت من " حجرة الفئران ".

فإن لم نفعلها مثله .. ونحكم على أنفسنا – ليس فقط **خوفاً** من التأديب، بل بالأحرى **حزناً** على الخطية التى فعلناها ..وأسأنا بها إلى من أحبنا ومات عنا – أقول إن لم نحكم على أنفسنا – أيا كان دافعنا إلى ذلك .. خوفاً .. أو حزناً – " فقد حُكم علينا " (١ كو ١١ : ٣٢) .. أى قد صدر الحكم.

ومتى صدر الحكم فلا راد له .. لذلك يضيف الرسول : " إذ قد حُكم علينا " (١ كو ١١ : ٣٢) .. بمعنى أنه حُكم نهائى .. لا استئناف فيه، ولا نقض .. لا التماس ، ولا استشكال .. فقد مضت المهلات الخاصة بهذه كلها .. ولم نستثمرها فى الحكم على أنفسنا.

و " **إذ قد حُكم علينا نُؤَدب من الرب** " (١ كو ١١ : ٣٢) .. فتدور عجلات التأديب بكل أسف وأسى.

ومتى دارت العجلات ، دامت فى دورانها .. حتى يصل الله لأغراضه من التأديب.

ماهى هذه الأغراض ؟ .. إنها أغراض ثلاثة .

الغرض من التأديب

لله من تأديب أولاده أغراض ثلاثة الأول منهـــا يخـــتص بـــالله .. والآخران يختصان **بنا**.

الغرض الأول : لتبرير الله أمام جميع خلائقه .

لأنه إن كان الله عادلا – وهو كذلك – فلا أقل من أن **يبدأ** بتأديـــب أولاده ، وأهل بيته **أولا** .. يلى ذلك دينونة العُصاة .. " لأنه الوقت (أى الآن هو الوقـــت) لابتداء القضاء من **بيت الله**. فإن كان **أولا** منا فما هى نهاية الذين لايطيعون إنجيل الله" (١ بط ٤ : ١٧).

إذ لايتفق مع عدالة الله أن يكيل بمكيالين (تث ٥ : ١٣-١٦) .. فيكون هناك قضاء يختص بالعصاة مستقبلا .. ولا يكون هناك قضاء يختص بأولاده **أولاً** .

وهذا هو الغرض الأول من التأديب ؛ **أن يتبرر الله.**

إلا أن القضاء المختص بأولاد الله يختلف عن القضاء المختص بالعصـــاة .. كما سيأتى ذكره، فى الغرض الثانى من التأديب.

الغرض الثانى : لكى لا ندان مع العالم (١ كو ١١ : ٣٢).

وهذا يبين لنا أن التأديب للمؤمن هو بخلاف دينونة العالم.

متى يُؤَدَّب المؤمن ؟ .. هل فى حياته.. أم بعد انتهائها .. كأن يـــدخل بعـــد موته مكانا يُؤَدَّب فيه ، فيتطهر بذلك من خطاياه .. ثم يخرج منه إلى الســـماء .. كحلٍّ وسط .. لا تُهمل ، أو تسقط فيه مذنوبيته ، من ناحية .. ومن الأخرى حتى لا يدان مع العالم ؟.

الإجابة ؛ **يُؤَدَّب فى حياته.**

ما الدليل ؟ .. أدلة كثيرة .. واحد منها مذكور فى العبارة موضوع تأملنا .. فقبل عبارة " نُؤَدَّب من الرب " ، سرد الكتاب بعضا من نوعيات التأديب بالقول: " من أجل هذا فيكم كثيرون **ضعفاء ومرضى**. وكثيرون **يرقـدون**" (١ كـو ١١ : ٣٠) .. ومعلوم أن الضعف والمرض والرقاد هى أمور تحـدث **فـى الحيـاة .. وليس بعدها** .. مما يؤكد لنا أن التأديب الإلهى للمؤمنين ، هو خلال حيـاتهم .. وليس فى المستقبل.. ويؤكد كاتب العبرانيين ذلك بالقول :" كل تأديب **فى الحاضر**" (عب ١٢: ١١).

أما فى **المستقبل** ، فإن المؤمن " له حياة أبدية ولا يأتى (مستقبلا) إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة " (يو ٥ : ٢٤).. إذ " لا شيء من الدينونة **الآن** على الذين هم فى المسيح يسوع " (رو ٨ : ١).. وكلمة **الآن** فى العبارة السابقة، لا تعنى فترة حياة المؤمن فقط، أى أنه لا دينونة عليه الآن فى حياته ، ثم تنتظره الدينونة بعد انتهاء حياته على الأرض .. كلا .. بل كلمة الآن تعنى بدءاً من الآن؛ أى بدءاً من التدبير الحاضر .. وهو زمان النعمة المسـتمر إلـى مجـئ الـرب لاختطاف المؤمنين .. فالمؤمنون **الآن** فى النعمـة مقيمـون (رو ٥ : ٢) .. ولا دينونة عليهم، عندما يحين وقت الدينونة **مستقبلا** .. إذ سـيكونون مـع المسـيح (١ تس ٤ : ١٧).

وهذا هو الغرض الثانى من التأديب ؛ **أن لا ندان مع العالم.**

الغرض الثالث : " **لأجل المنفعة** (منفعتنا) **لكى نشترك فى قداسـته** " (عـب ١٢ : ١٠) .

وإن كان التأديب فى الحاضر " لا يُرى أنه للفرح بل للحزن ".. لكن العبـرة بالخواتيم .. لأنه (أى التأديب) " أخيراً يُعطى الذين يتدربون به ثمر برٍّ للسـلام " (عب ١٢ : ١١).

إن الضعف والمرض، وهما أشبه بحجرتين للفئران، ومثلهما حجرات أخرى من الظروف والتجارب، لهى حجرات **مؤقتة .. يدخلها** المؤمن إلى أجل مسـمًّى

.. ثم **يخرج** منها بعد أن تقف عجلات التأديب، ويكون الله قد وصل إلى أغراضه .. لاسيما الغرض الأخير؛ وهو **قداسة المؤمن**.

وفى هذا يكتب أيوب " إذا جرَّبنى **أخرج** كالـذهب" (أى ٢٣ : ١٠).. لقـد **دخل** إلى ما يشبه حجرة مؤقتة للفئران .. **لم تكن بالضرورة تأديباً** .. و مع هـذا فقد كانت حجرة رهيبة .. أمسك بقفاه حارسها (أى ١٦ : ١٢ ، ٧ : ١٢)، وأحاط به رُماتها (أى ١٦ : ١٣) .. حبسته مغاليقها (أى ١٧ : ١٦)، وقيدته مقطرتهـا (أى ١٣ : ٢٧) .... اكتنفته أطلالها (أى ١٥ : ٢٨) ، وغشيته ظلمتهـا (أى ٣٠ : ٢٦).. أبلاه سوسها ، وأكله عُـثّها (أى ١٣ : ٢٨).. فجعته رياحها (أى ١ : ١٩)، وسحقته عواصفها (أى ٩ : ١٧) .. خاوته ذئابهـا (أى ٣٠ : ٢٩) ، وهددته أسودها (أى ١٠ : ١٦) .. أدمته جروحها (أى ٩ :١٧)، وأشبعته مرائرها (أى ٩ : ١٨) .. أراعته أحلامها ، وأرهبته أوهامها (أى ٧ : ١٤).

إلا أنه فى النهاية ، **خرج** منها .. وخرج **كالذهب** (أى ٢٣ : ١٠) .. حقـا " للرب الخلاص " (يو ٢ : ٩).

وبصدد الخروج كالذهب فإن الرسول يكتب لنا " إن كان يجـب (أى إن رأى الله أن الأمر يستوجب ذلك) تُحزنون يسيراً بتجـارب متنوعـة " (ليسـت كلهـا بالضرورة تأديبا) .. لماذا ؟.. يضيف الرسول :" لكى تكون **تزكية إيمانكم** وهـى أثمن من **الذهب** الفانى مع أنه يمتحن بالنار توجد للمدح والكرامة والمجـد عنـد استعلان يسوع المسيح" (١ بط ١ : ٦ ، ٧).

يدخل المؤمن حجرة من هذه الحجرات .. **ليخرج** بعدها، وتكون تزكية إيمانه عندئذ كالذهب الممحوص بالنار .. **يدخل .. ليخــرج**.. أنقى .. وأصفى .. وأقدس مما دخل.

وهذا هو الغرض الثالث من أغراض الله من تأديب أولاده .. **أن نشترك فى قداسته**.

وفى هذا يخاطب المرنم نفسه قائلا :

وقبلى أيدى أب يؤدب البنين
فإن تأديب العلى للنفع بعد حين

فالآن لا تدرين ما يصنعه الحكيم
بل سوف تعلمين أنْ رب السما رحيم

أشهر الحجرات

أما أشهر حجرات التأديب الإلهـــى فـــى الكتاب المقدس فكانت، **بطن الحوت**.

عاند النبى يونان ابن أمتَّاى قول الرب له بالذهاب إلى ميدنة نينوى .. **شرقا ..بالطريق البرى**.

وبزاوية قدرها ١٨٠ ° .. **اتجه غربا.. وبالطريق البحرى** .. إلى ترشـــيش.

أرسل الرب ريحا شديدة إلى البحر .. حيث كان يونان فى الســفينة.. حتـــى كادت تنكسر.

خاف الملاحون .. وطرحوا الأمتعة إلى البحر.. وأدركوا أن هذه المصـــيبة سببها خطية فعلها واحد من الموجودين فى السفينة.. لكن من هو .. حتى يحكموا عليه.. فلا يُحكم عليهم جميعا ؟.

شفافية عجيبة كان يتمتع بها هؤلاء الملاحون الوثنيون .. بينما نبى الله نـــائم فى جوف السفينة نوماً ثـــقيلا !! .. أين أنت يا " بسيط " لتتبهه حتى يصحو ويدين خطيته حاكما على نفسه .. فلا يكون للملاحون فضل السبق عليه فى الحكم على الخطية وإدانتها ؟.

ألقى الملاحون القرعة ، لمعرفة المتسبب فى هذا النوء .. وقعت القرعة على يونان .. وبسؤاله أخبرهم بخطيته .. وبأنه هارب من وجه الرب !!.

سألوه ثانية ماذا نفعل بك ليسكن البحر عنـــا؟.. لأن البحـــر كـــان يـــزداد اضطرابا.. وبدلاً من أن يقول لهم عودوا بى .. لقد أخطأت عندما عاندت.. والآن غيرت فكرى .. وسأنفذ قول الرب ، فينتهى النوء .. قال لهم خذونى واطرحونى فى البحر فيسكن البحر عنكم لأننى عالم أنه بسببى هذا النوء العظـــيم علـــيكم.. بمعنى ؛ أنى مستعد أن أموت .. ولا أتراجع ، فأذهب إلى نينوى.. وبدلا مـــن أن تموتوا معى بلا ذنب فعلتموه .. أموت وحدى بذنبى.

عناد حتى الموت.

لكن الرجال جذَّفوا ليُرجِّعوا السفينة (شرقا) إلى البر.. إعفاءً ليونان من هـذا المصير.

إنسانية منهم .. بالإضافة إلى الشفافية .. لكن ماذا تجدى محاولاتهم الإنسانية مع شخص ماض فى عناده حتى النهاية ؟.. أرادوا أن ينوبوا عنه فـى توبتـه.. فيرجعوا بجسده إلى الشرق – حيث أَمَرَ الله – بينما قلبه متجه – عكسـاً – إلـى الغرب .. فهل يجدى ذلك ؟.

لذلك عندما جذَّفوا إلى الشرق، لـم يسـتطيعوا ، لأن البحـر كـان يـزداد اضطرابا عليهم.. فالحكم الإلهى بتأديب يونان كان قـد صـدر.. ولـن تُجـدى إنسانيتهم، أو محاولاتهم.

فطرحوا يونان فى البحر .. " وأما الرب فأعد حوتا عظيما ليبتلـع يونـان. فكان يونان فى جوف الحوت ...." (يون ١).

نزل يونان **أدبياً** عن مستوى الطاعة .. ثم نزل **حرفياً** إلى جوف السفية.. ثم **جغرافياً** إلى عمق البحر.. ثم **تأديبياً** إلى جوف الحوت .. فيا للنزول !.

ما الذى يحتويه جوف الحوت ؟.. أين خيالك أيها الطفل العزيز " راهب "؟.. وإن كان خيالك قد اخترق جدران " حجرة الفئران " .. فهل يقدر هذا الخيـال أن يصور لنا ما وراء أسنان الحوت .. إن كان للحوت أسنان ؟.

معظم أنواع الحيتان ليس لها أسنان .. وحتى التـى لهـا أسـنان فإنهـا لا تستخدمها فى المضغ .. وإنما يفتح الحوت فمه تحت الماء .. ثم يغلقه وقد امـتلأ بالماء المحمَّل بآلاف القشريات كالجمبرى، وخلافه .. ثم يغلق فمه .. ويـدفع – إلى الخارج – ما يحتويه فمه، بلسانه الضخم المترهل الذى يصل وزنه أحياناً إلى ٢٠٠٠ كيلو جرام .. فيخرج الماء من بين صفائح رأسية تتدلى جنباً إلى جنب من فكه العلوى – كأسنان المشط – تسمى "البالين " .. يصل طول الواحدة منها إلـى

٩٠ سنتيمترا.. يخرج الماء .. ليتبقى الجمبرى وغيره .. فيزدرده الحوت بلا مضغ.

وما لا تقوم به الأسنان من مضغ، تعوضه المعدة بالهضم .. بعصارتها المركَّزة.

وتزن بعض أنواع الحيتان ١٥٠ طنا .. ويصل طول بعضها إلى ٢٤ متراً .. أى أطول من سيارة نقل ضخمة ذات مقطورة .. والرأس تمثل ثلث الجسم .. أى يصل طولها إلى ثمانية أمتار .. فكم يكون حجم الفم ؟ .. أما كبد الحوت فيصل وزنه إلى ٩٠٠ كجم .. وقلبه إلى ٤٠٠ كجم .. بينما معدة الحوت تتسع لبراميل عديدة من الجمبرى .. ألم يقل الكتاب أنه حوت عظيم .. هذا الذى أعده الرب ليبتلع يونان (يون ١ : ١٧).. وينزل إلى جوفه.

ترى هل نزل يونان إلى معدة الحوت .. أم إلى رئة من رئتيه ؟.

لقد دخل إلى معدته .. للأسباب الآتية :

أولاً: فتحتا أنف الحوت صغيرتان جدًّا .. وهما فى قمة رأسه (نافوخه).. ولا اتصال بين فتحتى الأنف وبين جهازه الهضمى - وهو فى هذا بخلاف الثدييات جميعها .. مع أنه منها - فلا يمكن إذا أن يكون يونان قد دخل من أحد فتحتي أنف الحوت، لا إلى رئته - لصغر فتحة أنفه - ولا حتى إلى معدته - لانعدام الاتصال بينها وبين أنفه.

ثانياً: لا يتنفس الحوت تحت الماء .. بل يخرج بعد كل فترة .. تمتد إلى أكثر من ثلث الساعة عند بعض الحيتان .. ليفتح صمامات أنفه .. ويُخرج زفيره فى الهواء .. من قمة رأسه .. فيما يشبه النافورة .. ثم يسحب شهيقه.. ويغلق فتحتى أنفه .. ليغوص تحت الماء ثانية .. وتبقى الفتحتان مغلقتين تحت الماء، إلى أن يخرج ثانية ..وهكذا.

أما وقد طُرح يونان فى البحر .. وفتحتا أنف الحوت الذى ابتلعه مغلقتين – لوجوده تحت سطح الماء – فلا يمكن أن يكون قد دخل من خلال أى منهما إلى رئة من رئتيه.

ثالثاً: عشب البحر الذى التف برأس يونان (يون ٢ : ٥)، لا يكون فى رئتى الحوت مع الهواء .. بل فى طعامه مع الجمبرى.

رابعاً: السوائل التى أحاطت بيونان – كقوله :" اكتنفتنى مياه إلى النفس أحاط بى غمر " (يون ٢ : ٥) – لاتكون فى رئتى الحوت .. بل فى معدته.

ابتلع الحوت يونان إذا ابتلاعا .. داخل معدته .. كنص المكتوب " فى **جوف**[١٠] الحوت " (يون ١ : ١٧).. وكقول الرب : " كما كان يونان فى **بطن** الحوت" (مت ١٢ : ٤٠).

ودارت عجلات التأديب .. مع تحركات وتقلصات معدة الحوت .. بعصاراتها الهاضمة.

ويُكبّل المحبوسون من أيديهم وأرجلهم .. أما نبينا المحبوب فقد كُبِّل من رأسه!.. بعشب البحر (يون ٢ :٥).. فيا للقيود !.

فإن أضفنا إلى ذلك نزول الحوت – بعد أن يتناول وجبته – إلى أعماق تصل إلى ٩٠٠ متر تحت سطح البحر .. حيث الضغط هناك يعادل أضعاف أضعاف الضغط الجوى.. فيما يفوق تحمل الإنسان [١١] .. أدركنا كم كانت محنة النبى.. تلك التى عبر عنها بقوله :" لأنك طرحتنى فى **العمق** فى قلب البحار.... نزلت إلى **أسافل الجبال**. مغاليق الأرض علىَّ ...." (يون ٢ : ٣، ٦) .

ومن زاوية رؤيتك ، إلى أى أجل تطول محنتك أيها النبى ؟.. يجيبنا :" إلى الأبد " (يون ٢ :٦).. فأى ضُغطة تلك التى اكتنفتك أيها النبى الموقر ؟! .

ومن زاوية رؤية الآخرين، هل تنفرج .. بعد يوم .. أم يومين .. أم أكثر ؟ .. العلم عند علام الغيوب .. فيا للمصير المجهول !.

العصارات الهاضمة فى معدة الحوت على وشك اختراق فقاعة الهواء التى – فى أغلب الظن – أحاطت بيونان ككبسولة .. الأكسجين فيها أوشك أن ينفذ .. فضلا عن أن شعور الحوت بها ربما يدفعه إلى التَجَشُؤ .. فيخرج الهواء .. ويبقى يونان يواجه العصارات الكاوية – غرقا وذوبانا – بلا كبسولة تحمية .. بلا هواء يستنشقه.. بلا نور يسترشد به ، إن أراد الهروب .. مقيَّداً ، بلا حرية للحركة ، أو السباحة فى حلقوم الحوت إلى الخارج[١٢].

الوقت يمضى .. والموت يقترب .. والموت أهون من انتظاره .. لُجج نفسية طمت فوق نفس يونان .. أرهب من لجج البحر فوق رأسه .. أو من عصارات المعدة حول لحمه .. أو من الضغط المضاعف على ضلوعه .. فى تلك الأعماق السحيقة.

حجرة للفئران .. فئرانها فريدة .. لا مثيل لها فى كل التاريخ .. أعدها الله خصيصاً (يون ١ : ١٧) .. لتأديب عبده ونبيه المعاند.

على أنها كانت – رغم كل هذا – **حجرة مؤقتة** .. **دخلها** يونان معانداً .. **وخرج** منها مطيعاً .. هاتفاً :" أصعدت من الوهدة حياتى أيها الرب إلهى .... للرب الخلاص" (يون ٢ : ٦ ، ٩) .. إذ " أمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر" (يون ٢ : ١٠).

الحجرة الأخيرة

إن أدَّت حجرات التأديب المؤقتة، الغرض المأمول منها .. وردَّت نفس المؤمن الذى يدخلها ، ردًّا كاملا .. كان بها .. وإلا فإن هناك حجرة **أخيرة** تنتظر هذا المؤمن.

ما هى ؟.

بعدما يكتب الرسول عن حجرتين مؤقتتين؛ هما **الضعف، والمرض**[١٣]، فإنه يضيف حجرة أخيرة هى **الرقاد** .. وهى حجرة دائمة .. ويُجْمل الثلاثة بالقول : " من أجل هذا (أى من أجل عدم حكمنا على أنفسنا) فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون **يرقدون** " (١ كو ١١ : ٣٠).

وتكرار كلمة " كثيرون " **مرتين** يفيد بوجود هذين النوعين من الحجرات ؛ النوع المؤقت :" **كثيرون** ضعفاء ومرضى " .. ثم النوع النهائى :" **وكثيرون** يرقدون".

ماذا عن حجرة **الرقاد** هذه ؟.

إنها أعتى الحجرات، وآخرها فى منظومة الله التأديبية لأولاده.. ولا يدخلها المؤمن مباشرة .. بل بعد حجرات أخف وطأة.. دخلها فلم تُجْدِ معه نفعاً .. واستمر بعدها فى تكرار خطئه .. فوصل إلى **حد الموت** – كما سيأتى ذكره – ولم يبق إلا أن يدخل هذه الحجرة النهائية .. ومن دخلها فلن يخرج ليعود إلى " أرض الأحياء" (مز ٢٧ : ١٣) مرة أخرى.. بعكس الحجرات المؤقتة.

ففئران هذه الحجرة تقرض الجسد حتى الموت .. ماذ يقول بلدد الشوحى لأيوب ؟.. يقول :" يأكل أعضاءه بكر الموت" (أى ١٨ : ١٣).. فهل للموت ابن بكر ؟.

نعم .. من هو ؟.. هل هو لوياثان المذكور فى (أى ٤١ : ١).. أم التمساح، أقرب الكائنات الحالية إليه ؟.

ماشكله ؟ .. هل هو فى شكل الفأر .. أم يشبه التنين ؟.

لا هذا ولا ذاك .. إذا كيف يأكل الأعضاء؟.. وإن أكلها فهل بأسنان كأسنان سمك القرش المفترس .. أم أن له معدة رهيبة كمعدة الحوت .. تدور رحاها مع عصاراتها الكاوية .. فتذيب اللحم والشحم .. العظم والأصداف؟.

كلا .. فما بكر الموت إلا عوامل الموت والفساد .. من جراثيم وميكروبات.. ديدان وفيروسات .. بكتريا وفطريات .. تدمِّر الأجهزة الحيوية فى جسم الإنسان .. أو جنون تجنح إليه الخلايا فتنقلب إلى خلايا خبيثة، تتكاثر فى متوالية رهيبة .. تأكل الأعضاء – كما أشار الشوحى – حتى الموت .. إلى آخر هذه العوامل.

هذه كلها وغيرها، عوامل تتوارى أمامها فئران المدرسة، وتماسيح الأنهار.. سباع البرارى، ووحوش القفار .. إذ من السهل اتقاء أضرار هذه جميعها .. بينما من الصعب – وربما من المستحيل – اتقاء الإصابة بأمراض خبيثة تسعى فى الليل .. أو أوبئة فتاكة تسلك فى الدجى (مز ٩١ : ٦٠).

لذلك فإننا نقرأ فى الترجمة التفسيرية للكتاب عن " بكر الموت " هذا ؛ بأنه "المرض العُضال" الذى لا نطاسة له .. ولا شفاء منه .. يفترس من يلِج أبوابه .. ناهشا أعضاءه حتى النهاية .. فعسانا نردد مع المنشدين فى الكنيسة: " **كرحمتك يارب ولا كخطايانا** ".

ثم يسلمه " بكر الموت " هذا إلى أبيه ؛ الموت نفسه .. "من أجل هذا فيكم .... كثيرون **يرقدون** " (١ كو ١١ : ٣٠).

كما أنه ليس بالضرورة أن يكون الرقاد تأديباً ، ناتجاً عن مرض عضال .. فربما كانت هناك أسباب أخرى تؤدى إلى نفس النتيجة ؛ وهى الرقاد.

ونلاحظ كلمة **يرقدون** .. وهى لا تقال إلا عن المؤمنين " **الراقدين بيسوع** " (١ تس ٤ : ١٤) .. فهو مؤمن .. ومن أولاد الله .. **وراقد بيسوع** .. ولن يدان مع العالم (١ كو ١١ : ٣٢) .. حتى إن كان رقاده (أى موته) هذا تنفيذاً لحكم تأديبى صادر ضده.

يقول قائل :" ألا يموت القديسون جميعهم .. وتتحلل أجسادهم .. بتأديب .. أو بغير تأديب ؟.

بلى.

فهل دلفوا جميعا إلى حجرتك الأخيرة هذه .. التى تخيفنا بها ؟.

كلا .. رقدوا جميعا.. لكن شتان بين من **يرقد** تحت التأديب .. ومن **يرقد** فى سلام .. مثل سيدنا الذى قال :" جسدى أيضا **يرقد** مطمئنا " (مز ١٦ : ٩).. بعد أن " **سكب** للموت نفسه " (إش ٥٣ : ١٢).

فهناك – خلف سيدنا – من أكمل خدمته .. **وانسكب سكيبا** .. مثل الرسول بولس، الذى كتب، آخر ما كتب : " أنا الآن **أُسكب سكيبا** " (٢ تى : ٤ :٦) .. كسكيب الذبائح قديما (خر ٢٩ : ٤٠) .. لقد **أكمل سعيه** (٢ تى ٤: ٧).. فانسكب سكيباً طيبا أمام الرب .

وهناك من **أُوقف سعيه**.. لفشله فى الاستجابة لشفاعة المسيح .. ثم فشله فى الحكم على ذاته .. ثم فشله فى الاستفادة من دخول حجرة أو أكثر من حجرات التأديب المؤقتة .. فتم **استدعاؤه** – لا إلى مكتب " حضرة الناظرة " .. ولا إلى مكتب " حضرة الضابط العظيم " كما فى الجيش .. بل – إلى المقر الأبدى .. **وعظيم** أن يكون استدعاؤه – رغم هذا – هو إلى الفردوس (لو ٢٣ : ٤٣).. مع المسيح (فى ١ : ٢٣).. لكن **المؤسف** أن استدعاءه هذا كان عن طريق مروره خلال حجرة التأديب الأخيرة .. حجرة الرقاد (الموت) **تحت التأديب** .. فيا للأسى.

ألا مددتنا أيها العزيز " راهب " بقبس من رهبتك السويَّة ؟ .. حتى " نسير زمان غربتنا بخوف" (١ بط ١ : ١٧).. عائـــدين إلـــى مشـــاعر طفولتـــك الصادقة.. متممين قول الرب :" إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفـــال ...." (مت ١٨ : ٣)؟.

أوَلاَ أعفيتنا - فى الوقت نفسه - مما هو غير ســوىٌ فـــى خوفـــك مـــن " حضرة الناظرة "؟ .. لأن هذا الخوف " له عذاب " (١ يو ٤ : ١٨) .. فلا نعتمد على إمكانياتنا الذاتية القاصرة، لنيل الرضى .. بل - واثقين ومُكَمَّلين فى محبة أبينا السماوى (١ يو ٤ : ١٨) - نسلم الكيـــان تمامـــا - إرادة وإمكانيات - " للقادر أن يحفظنا غير عاثرين ويوقفنا أمام مجده بلا عيـــب فى الابتهاج. الإله الحكيم الوحيد مخلصنا لـــه المجـــد والعظمـــة والقـــدرة والسلطان الآن وإلى كل الدهور (يه ٢٤).

آمين

الحجرة الكبرى

أبعد الحجرة الأخيرة بقيت حجرات ؟ .. نعم .. كيف ؟ .. إن الحجرة الأخيرة – حجرة الرقاد – هى للمؤمنين (بعضهم .. لأننا " لا نرقد كلنا " ١ كو ١٥ : ٥١) .. فإن بقيت حجرات أخرى .. تكون لغيرهم.

ماذا تراها ؟

إنها جُبُّ الهلاك (مز ٥٥ : ٢٣) .. والحفرة الأبدية (أى ٣٣ : ٢٨).. إنها بحيرة النار (رؤ ٢٠ : ١٤) .. المتقدة بالكبريت (رؤ ١٩ : ٢٠).. هى إذا حجرة للدينونة الأبدية .. وليست للتأديب .. بفئران .. أو غير فئران.

وهى ليست للمؤمنين .. كقول الرب :" الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية **ولا يأتى إلى دينونة** بل قد انتقل من الموت إلى الحياة " (يو ٥ : ٢٤) .. ويقول الرسول :" **إذا لا شيئ من الدينونة** الآن على الذين هم فى المسيح يسوع " (رو ٨ : ١) .. وهم المكتوبة أسماؤهم فى سفر الحياة (فى ٤ : ٣).

أما بحيرة النار الأبدية، فسيُطرح فيها " كل من لم يوجد مكتوباً فى سفر الحياة " (رؤ ٢٠ : ١٥).

لماذا يُعفى منها المكتوبة أسماؤهم فى سفر الحياة ؟.. لأنه " سفر حياة **الخروف الذى ذُبح** " (رؤ ١٣ : ٨).

السر إذا فى عبارة " **الخروف الذى ذُبح** " .. أى الرب يسوع .. الذى رآه يوحنا الرائى قائما فى وسط العرش (الإلهى) " **خروفا قائما كأنه مذبوح** " (رؤ ٥ :٦).

وهذا يعود بنا بسرعة إلى خروف الفصح قديماً .. الذى كان **يذُبح** .. ويُرش دمه على العتبة العليا والقائمتين .. ومن يحتمى داخل الباب المرشوش بالدم كانت تنطبق عليه القاعدة الذهبية التى قالها الرب لموسى وهرون - وهما بدورهما للشعب - " أرى الدم وأعبر عنكم. **فلا يكون عليكم ضربة للهلاك** " (خر ١٢ : ١-١٤).

لقد " وُضع للناس - جميعا - أن يموتوا مرَّة ثم بعد ذلك الدينونة " (عب ٩ :٢٧).

لا مفر إذا من ولوج البشرية كلها - بعد الموت - إلى هذه الحجرة الكبرى.. المتقدة بالنار والكبريت (رؤ ٢١ : ٨).. جزاءً عادلا على خطاياهم جميعا .. " إذ أخطأ الجميع " (رو ٥ : ١٢).

لولا " **المسيح فصحنا الذى ذُبح لأجلنا** " (١ كو ٥ : ٧).. الذى يعفى كل من يحتمى فى دمه من الهلاك الأبدى .. لقد كانت فاعلية دم خروف الفصح قديماً رمزاً باهتاً للحماية الأبدية التى يقدمها دم المسيح لكل من يحتمون به .. مؤمنين بصليبه، وموته الكفارى عن خطاياهم .. إنها حماية أبدية من الحجرة الكبرى .. الصاعد منها " دخان عذابهم إلى أبد الأبدين " (رؤ ١٤ : ١١).

على أن خروف الفصح لم يكن يُذبح فقط .. بل كان يُشوَي أيضا بالنار.. مما يؤكد حمايتنا من النار الأبدية، إذ احتملها المسيح فصحنا نيابة عنا.

فالمسيح فصحنا لم يُذبح فقط، مائتا موتا عاديا .. متألما من يد البشر فقط.. بل " حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة " (١ بط ٢ : ٤٢)..

ما معنى حمل خطايانا ؟.. معناها أنه حملها عنا .. رافعا إياها عن كواهلنا.. كيف ؟ .. لقد اعترف بها كأنه فاعلها الأصلى بقوله :" يا الله أنت عرفت حماقتى، وذنوبى عنك لم تَخْفَ" (مز ٦٩ : ٥) .. " حاقت بى آثامى ولا أستطيع أن أبصر" (مز ٤٠ : ١٢) .. ومع أنه القدوس الذى ليس فيه خطية ، لكن " الرب "وضع عليه إثم جميعنا" (إش ٥٣ : ٦) .. طالما اعترف به.

ولما وُضعت عليه خطايانا بجملتها – ماضيها وحاضرها ومستقبلها – أنزل الله نيران غضبه العادل – الذى تستحقه خطايانا – عليه باعتباره بديلنا ، والممثل لنا، والقائم مقامنا، فى هذه اللحظات على الصليب .. شـــلالات مـــن النيـــران .. وميازيب من الدينونة .. بعنفوانها المطلق طمت عليه [١٤].

ومن جهة حمله لهذه الدينونة ، فإن الرب لم يجد من الأنبياء جمـــيعهم مـــن يمثله – رمزيا – فى هذا إلا يونان النبى .. مع الفارق الكبير طبعاً.

وفى هذا يقول سيدنا :" جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له إلا آيـــة يونان النبى. لأنه **كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليـــال هكـــذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال**" (مت ١٢ : ٣٩ ، ٤٠).

فهل دخل سيدنا إلى **قلب الأرض** فقط ؟.. كلا .. إنه دخل أيضا إلـــى مـــاهو أرهب .. إلى **الحجرة الكبرى؛ حجرة الدينونة** .. أو بالحرى هى التـــى **انفتحـــت عليه** .. بينما هو الوحيد الذى **انفتحت له السماء يوماً** (مت ٣ : ١٦) .. سرورا به[١٥] .. فياللمفارقة !!.

وإن كان يونان قد **قُيِّد** بعشب البحر (يون ٢ : ٥) .. ويوسف قد **آذوا بالقيد** رجليه (مز ١٠٥ : ١٣).. فإن سيدنا قد **قُيِّد** بالمساميركقوله :" ثـــقبوا يدىَّ ورجلىَّ (مز ٢٢ : ١٦) .. وقبلها **قيدته** المحبة (يو ١٥ : ١٣).

وإن كان يونان قد تعرض **لضغط** فيزيائى هائل فى بطن الحوت .. فإن سيدنا قد **ضُـــغط** بما هو أشد ثـــقلا ووطأة .. يقول إشعياء النبى عنه :" مـــن **الضُـــغطة والدينونة** أُخذ " (إش ٥٣: ٨).

يقول يونان :" قد اكتنفتنى **مياه إلى النفس** " (يون ٢ : ٥) .. ويقول سيدنا : " خلصنى يا الله لأن **المياه قد دخلت إلى نفسى**. غرقت فى حمأة عميقـــة ولـــيس مقر. دخلت إلى أعماق المياه والسيل غمرنى " (مز ٦٩ : ١ ،٢).

يقول يونان :" جازت فوقى **كل تياراتك ولججك** " (يـــون ٢ :٣) .. ويقـــول سيدنا : " **كل تياراتك ولججك طمت علىَّ** " (مز ٤٢ : ٧) .

يقول يونان :" أحاط بى **غمر**" (يون ٢ :٥).. ويقول سيدنا : " **غمر ينادى غمراً** عند صوت ميازيبك (شلالاتك) (مز ٤٢ : ٧).

وما كان بغمر حرفى فقط .. حيث امتلأت رئتاه فوق الصليب برشح فائض من المياه- كما يقول المحللون من الأطباء - بل كان أيضا غمرا رهيبا غير منظور.. هو غمر الدينونة .. أظلمت السماء حداداً ساعة أن انصب عليه .

وهى لم تظلم **حداداً** فقط .. ولا **ستراً وإخفاء** فقط لما يدور بينه وبين العدالة الإلهية - فما يدور فى الخفاء أسمى من إدراك البشر - بل أيضا لأنه **أخلد** - على مر الزمان - من توالى الليل والنهار .. الذى تنظمه الشمس فى حكمها للزمن (تك ١ : ١٦).. فالشمس والليل والنهار **بائدة** ، فى مقابل هذا العمل **الخالد**.

إذا **فلتظلم** الشمس ، إذ لا يستقيم أن **تسطع** - وهى **البائدة** مع الزمن الذى تنظمه (مز ١٠٢ : ٢١) - فى نفس الوقت الذى **يسطع فيه هذا العمل الخالد** مع نتائجه إلى أبد الآبدين (رؤ ٥ :٦) .. يظلم نورها ليفسح المجال **لنور الحياة** (يو ٨ : ١٢) - منبثقاً من **نور العالم** (يو ٨ : ١٢ ، ٩ : ٥) ساعة صلبه - غامراً أرجاء الكون وثنايا الأبدية .. طاويا كل نور عداه.

على أن هناك اختلافات جوهرية بين سيدنا وبين يونان.

فإن كان يونان قد **عصى** حتى الموت .. إلا أن سيدنا قد " **أطاع** حتى الموت" (فى ٢ : ٨) .

وإن كان يونان قد دخل إلى بطن الحوت **تأديبا له** - كما رأينا - إلا أن سيدنا قد احتمل ما احتمل لا تأديبا له - فحاشا - بل نيابة عنا .. إذ أن " **تأديب سلامنا عليه**" (إش ٥٣ : ٥) .. وقد كان المفترض أن ندخل نحن هذه الحجرة الكبرى، تأديبا أبديا لنا بسبب خطايانا وفسادنا (رو ٦ : ٢٣).

وإن كان يونان قد **تأسَّى** على نفسه فقال :" **مغاليق الأرض علىَّ إلى الأبد**" (يون ٢ :٦) .. بلا أمل فى الخروج إلى أرض الأحياء ثانية.. وذلك لإدراكه

لخطيته .. إلا أن سيدنا فى **ثقة تامة بأن الله لن يترك نفسه فى الهاوية** (مز ١٦: ١٠) ، كان يصلى قائلا :" نجنى من الطين فلا أغرق .... ومن أعماق المياه. لايغمرنى سيل المياه ولايبتلعنى العمق ولا تطبق الهاوية علىَّ فاها " (مز ٦٩ : ١٤ ، ١٥).. وذلك لإدراكه بأنه القدوس الكامل (يو ٨ : ٤٦).

وفي النهاية ، خرج يونان من بطن الحوت .. وقام سيدنا من القبر .. من قلب الأرض .. من بين الأموات .. ناقضاً أوجاع الموت (أع ٢ : ٢٤)، إذ لم يكن ممكنا – لكونه قدوسا – أن يمسك منه (من الموت) .. واهبا الحياة الأبدية لكل من يؤمن به (يو ٣ : ١٥ ، ١٦).

ألا أعطيتنا أيها السيد تقديرا – ولو بقدر محدود ، يتناسب مع محدوديتنا – لما أعفيتنا منه واحتملته أنت نيابة عنا .. حباً وفداءً .. فينعكس ذلك على الحياة بجملتها فتُكرسَّ لك .. سلوكاً .. وشركةً .. وخدمةً .. بل وتوضع الحياة .. مع الأجساد .. مع الكل .. على مذبح الشكر والعرفان .. ذبيحة مرضيَّة كاملة .. تقبلها وترى فيها – رغما عن قصورها – من تعب نفسك فتشبع (إش ٥٣ : ١١)..

لك السجود والتعبد إلى أبد الأبدين .. أمين.

* * * * *

* * * *

*

حد الموت

حـــد المـــوت

" توجد خطية للموت .... وتوجد خطية ليست للموت ".

(١ يو ٥ : ١٦ ، ١٧).

يقرأ البعض هذه العبارة ؛ " توجد خطية للموت .... وتوجد خطية ليست للموت" ، ويتساءلون : هل هناك قائمة بالخطايا المؤدية إلى الموت وأخرى بالتى لا تؤدى إليه ؟ .. وإن وجدت فأين ، وما هى ؟ .. وأى موت هذا المقصود فى هذه العبارة ؟.

ونبدأ بالإجابة على السؤال الأخير ، عن نوع هذا المـوت .. إنـه المـوت الزمنى .. لماذا ؟ .. " لأن أجرة الخطية هى مـوت " (رو ٦ : ٢٣) .. مـوت زمنى .. وموت أبدي .. ولا توجد خطية لا تؤدي إلى هذين النوعين من المـوت .. لأنه " قد وضع للناس أن يموتوا مرَّة (موتا زمنيا) ثم بعد ذلك الدينونة (أى الموت الأبدي)" (عب ٩ : ٢٧) .. " إذ أخطأ الجميع" (رو ٥ : ١٢).

أما وأن كل من يؤمن بالرب يسوع " لا يأتى إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة " (يو ٥ : ٢٤) ، فقد أُعفى من الموت الأبدى ، ولم يبق أمامه إلا **الموت الزمنى** ليكون موضوع العبارة المذكورة ؛ " توجد **خطية للموت** ".. ومفهوم طبعاً أنه الموت بيد الرب.

وأقرب ما يؤكد أنه الموت الزمنى – لا الأبدي – هو النص نفسه ؛ "إن رأى أحد **أخاه** يخطئ خطية ليست للموت يطلب (أى يصلى من أجله) فيعطيه حياة .... توجد خطية للموت (ممكن أن يصل إليها هذا **الأخ**) ليس لأجل هذه أقول أن يُطلب" (١ يو ٥ : ١٦).

فكلمة **أخاه** تفيد أنه من أولاد الله .. وهؤلاء – كما سبق ورأينا – " ليس للموت الثانى (أى الهلاك الأبدي) سلطان عليهم" (رؤ ٢٠ : ٦)، حتى لو وصل هذا الأخ إلى الخطية التى للموت.

نعود إلى السؤال الأول وهو ؛ هل توجد قائمة تصنِّف الخطايا فتجعل بعضها للموت .. وأخرى بعكس ذلك ؟.

الإجابة ؛ كلا .

إذا ما هى الخطية التى للموت ؟.

للإجابة على هذا السؤال نلخِّص ما سبق أن ذكرناه فى العدد السابق (لنا شفيع) ، وفى الموضوعين السابقين فى هذا العدد ، عن المراحل التى يمر بها المؤمن بعد أن يخطئ .. وهى أربع مراحل :

الأولى : الاستجابة لعمل المسيح الشفاعي معه لردِّ نفسه ردًّا كاملا .. وهذه تتم بطريقة ودِّية .. وبدون تأديب .. وبها تنتهى قضية خطأ المؤمن.

الثانية : وهى مرحلة **الضعف** .. ويمر بها المؤمن إذا لم يتجاوب مع شفاعة المسيح .. ويرجع عن خطئه .. فيصاب بما يسبب ضعفا جسمانيا .. كخطوة ابتدائية فى منظومة التأديب.

الثالثة : وهى مرحلة **المرض** .. ويمر بها المؤمن إذا فشل فى الاستفادة من المرحلة الثانية .. ولم تؤد تلك المرحلة إلى توبته، وردِّ نفسه .. فيصاب بمرض .. وهو أشد من الضعف .. وذلك كخطوة تالية فى منظومة الله التأديبية لأولاده .. (هذا بخلاف ظروف أخرى أو تجارب ممكن أن يجيز الله أولاده فيها، تأديبا لهم).

الرابعة : وهى مرحلة **الرقاد** ؛ أى **الموت** (الزمني) .. ويصل إليها المؤمن فى حالة عدم استفادته من المراحل الثلاث السابقة، وعدم توبته عن خطيته .. وهى آخر خطوات التأديب.

وفى ضوء المراحل السابق ذكرها نجد أن المؤمن إذا اجتاز فى المراحل الثلاث الأولى وفشل فيها .. أو فشلت معه .. لا يتبقى له إلا المرحلة الرابعة .. وهى الموت تأديباً .. ما دام مستمراً فى فعل نفس خطيته .. والموت يكون بيد الرب (تك ٣٨ : ٧ ، ١٠) ، بمرض ، أو بغير مرض.

الخطية التى يكرر فعلها بعد المراحل الثلاث الأولى هى " **خطية للموت** " .. أى مؤدية إلى الموت الزمنى تأديباً له.

سؤال ؛ هل المرة الأولى التى يكرر المؤمن فيها خطيته (بعد المراحل الثلاث) هى التى تحول خطيته إلى خطية للموت ؟.

ليس بالضرورة .. ربما كانت كذلك .. وربما كانت المرة العاشرة .. أو الخمسين .. أو أى رقم .. فهناك **حدٌ معين** يدخل فى حكمة وعلم الرب ؛ " طويل الروح وكثير الرحمة " (مز ١٠٣ : ٨). تُعتبر بعده الخطية " خطية للموت " .. ودعنا نطلق عليه ؛ " **حد الموت** ".. بلغة العلوم الرياضية.

فإذا افترضنا أن أناة الله – وهو كلي القداسة فى نفس الوقت – سوف تصبر على المؤمن المخطئ فى مثالنا حتى المرة العاشرة التى يكرر فيها خطيته (بعد المراحل الثلاث)، نجد أن التسعة الأوائل هى خطايا ليست للموت .. أما الخطية رقم ١٠ فهى التى للموت .. ورقم ١٠ هنا هو "**حد الموت**".. مرة أخرى هذا الرقم من قبيل الافتراض.

ولا أحد يعرف تحديداً الرقم الذى بعده تصل الخطية المكررة إلى حد الموت .. لكن المؤمن المصلى لأجل أخيه المخطئ له أن يستشف بالروح القدس – المصلى فيه – أن صلاته لن تجدى .. فأخوه قد وصل بتكرار خطيته إلى حد الموت .. وأمست خطيته هذه ؛ " خطية للموت " .. فلا يطلب لأجله.

كما أشار الفاضل الآخ " وليم كلى " إلى أن الأخ المخطئ أيضا يمكن أن يدرك أنه قد وصل – بتكراره – إلى الخطية المحدد لها أن تكون خطية للموت.

ومع أن تقدير المؤمن لجسامة ما يفعله من خطايا – إن حدث وأخطأ – هو تقدير نسبى، يختلف من مؤمن لآخر ، بما يتناسب مع إدراكه الروحى وشركته مع الرب ، لكن هذا لا يدخل فى احتساب حد الموت.

فالرب الشفيع كفيل بأن يصل بكافة المؤمنين إلى إدراك جسامة الخطية التى يفعلها أى منهم ، إلى درجة أنها استوجبت أن يموت المسيح من أجلها

(رو ٤ : ٢٥) .. من ثم يقوده إلى الحكم على نفسه .. فى ضوء قداسة الله المطلقة .. من خلال مرحلة أو أكثر من المراحل الثلاث المذكورة .. وصولا به إلى القداسة .. لأن " إرادة الله قداستكم" (١ تس ٤ : ٣) .. والتأديب إنما " لأجل المنفعة لكى نشترك فى قداسته " (عب ١٢ : ١٠).

إلا أن هناك اعتباراً آخر ، دخل مرة وحيدة فى احتساب حد الموت .. ماهو؟.

إنه اعتبار الدور الذى مرَّت به الكنيسة .. وقد حدث هذا فى الدور الأول من تاريخ الكنيسة ، المنقسم فى سفر الرؤيا إلى سبعة أدوار.

تميز هذا الدور بوجود الرسل الذين " جرت على أيديهم آيات وعجائب كثيرة فى الشعب" (أع ٥ : ١٢).

ولأن " الله محبة " (١ يو ٤ : ٨) فقد أعطى معجزات إيجابية ؛ كشفاء الأعرج (أع ٣ : ٦ – ٨)، وإقامة الميت (أع ٩ : ٤٠).

ولكن لأن الله أيضا نور (١ يو ١ : ٥)، بل " نار آكلة " (تث ٤ : ٢٤)، لذلك فقد أعطى أيضا فى المقابل معجزات عكسية .. وذلك على أيدى الرسل أيضاً .. ولو لم يفعل لكان ذلك إقلالا من كماله وانتقاصا من صفاته .. بمعنى أنه يسمح بأن يبتزَّه عبيده .. فينالون منه معجزة تشفى مريضاً .. ومعجزة تقيم ميتاً .. ثم يكذبون عليه بعد ذلك .. ويختلسون من ماله .. ولا تكون فى المقابل معجزة تعاقبهم.

فكما أن طبيعة الله – أو صفاته – لا تتجزَّأ .. كذلك معجزاته وآياته أيضا.

وكما أعطى المعجزة الإيجابية لمريض محتاج فشفاه .. ولميت فأقامه، كذلك كان لا بد فى المقابل أيضا أن يعطى المعجزة العكسية ، بسحب البصر من الساحر (أع ١٣ : ١١) .. وإهلاك جسد الزاني (١ كو ٥ : ٥) .. وإماتة المختلس الكاذب (أع ٥ : ٥ ، ١٠).. كل هذا بطريقة معجزية .

ولنترك معجزة سحب البصر الآن، لأن موضوعنا هو الخطية التى للموت (فى ذلك الدور من تاريخ الكنيسة) .. ونقرأ ما كتبه الفاضل " وليم كلى" بخصوص تأثير هذا الدور الذى مرت به الكنيسة على احتساب حد الموت : ﴿ إن الكذب خطية كبيرة وبخاصة من المسيحى .. ولكن كم من خطايا كذب وقعت دون أن يترتب عليها الموت . أما فى بكور تاريخ الكنيسة يوم أُعطي الروح القدس فى البداية وكانت نعمة عظيمة على الجميع وقوة ملحوظة فى كل مكان، هذا كله أعطى خطية الكذب فى ذلك اليوم صفتها الشريرة الخاصة. ومما زاد الطين بلّة هو رياء ذينك الزوجين (حنانيا وسفيرة) واتفاقهما العمد وإنكار كل منهما للاتهام الخطير الذى وجهه إليهما بطرس (الرسول). مما طبع خطيتهما بطابع خاص وجعلها **خطية للموت** (**فورا بيد الله**). لأنها كانت أكذوبة، زاد من شناعتها تلك البركة العجيبة (العجائب والمعجزات) التى كان الله يجريها تكريماً لابنه المحبوب. فكم هو بغيض والحال هكذا الادعاء بدرجة من التكريس (عند حنانيا وسفيرة) الذى لا أصل له على الإطلاق﴾.

وهذا الفكر يؤكده الرائى ، من أن الكنيسة فى دورها الأول هذا ؛ " **لا تقدر أن تحتمل الأشرار** " (رؤ ٢ : ٢) .. وبالذات عندما يكون الشر فى وسطها .. لذلك فقد أراحها الرب من هذا الشر الداخلى ، بإماتة المخطئين فوراً، بطريقة معجزية.

هذا ومن واجب المؤمنين أن يصلوا من أجل أخيهم المخطئ، طالما لم يصل بعد إلى حد الموت – أى إلى الخطية التى إن فعلها احتسبت خطية للموت – وذلك بإرشاد الروح القدس لهم إلى أن أخاهم لم يصل بعد بفعلته إلى حد الموت.

وهذا مطلوب من جميع المؤمنين بصفة عامة .. لأنه " إن رأى **أحدُ** (أى أحد من الإخوة بدون استثناء) أخاه يخطئ خطية ليست للموت يطلب (أى يصلى من أجله) فيعطيه حياة " (١ كو ٥ : ١٦).

لكن مفهوم أنه ليس مطلوباً من الجميع إصلاح هذا الأخ .. فهذا مطلوب فقط من الروحانيين .. كقول الرسول فى (غل ٦ : ١) : " أيها الإخوة إن انسبق إنسان

فأُخذ فى زلّة ما فأصلحوا أنتم **الروحانيين** مثل هذا بروح الوداعة ناظراً إلى نفسك لئلا تُجرَّب أنت أيضاً " .. وهذا النص يكشف لنا ضمنا عمن هم الروحـــانيون .. هم من على استعداد أن **ينظروا إلى أنفسهم لئلا يُجرَّبوا** .. لقد سبق لهـم مــن خلال تدريبات الله لهم الاقتناع العميق بفســاد طبيعــتهم، وبميلهــا للانحــراف، وباحتمال أن يُجرَّبوا هم أيضاً .. فهم ليسوا فوق مستوى التجربــة .. فوضــعوا وجوهم فى التراب .. وساروا مرتمين على نعمة الله وحدها .. فى اتضاع ووداعة .. وهؤلاء بخلاف الذين **ينظرون إلى أنفسهم بعجب (فى ٢ :٣)** ، **كمن وصلوا** إلى مستوى روحى أسمى من إخوتهم .. أو حصلوا على درجة أعلى فــى سـلم الدرجات الكنسيَّة .. مع احترامنا للجميع .. فأن تحوز على درجة كنسيَّة شــىء ، وأن **تنظر إلى نفسك كحائز لهذه الدرجة** شىء آخر – ويقول الرسول العظــيم :" فإنى لست أحسب نفسى أني قد نلت" (فى ٣ : ١٢).

أما إن حاول شخص غير روحانى إصلاح أخيــه فربمــا – إن لــم يكــن بالضرورة – يعقِّد المسألة.

إلى أى شىء تؤدى خدمة الروحانيين المقدمة للمخطئين ؟.

تؤدى إلى نتيجتين .. يخبرنا بهما يعقوب فى رسالته :" أيها الإخوة إن ضل أحد بينكم عن الحق(تعليما أو سلوكا) فردَّه أحد. فيعلم أن من ردَّ خاطئا عن ضلال طريقه **يخلص** نفساً من الموت **ويستر** كثرة من الخطايا (يع ٥ : ١٩ ، ٢٠).

النتيجة الأولى : " يخلص نفسا من الموت " .. أى الموت الزمنــى تحــت التأديب .. لقد أدرك الأخ الروحانى أخاه المخطئ قبل وصوله بتكرار خطيته إلى نقطة اللا عودة .. أى إلى حد الموت .. فأنقذه من هذا الموت.

فإن عدنا إلى افتراضنا بأن حد الموت عند أحد الإخوة هــو ١٠ ؛ أى أنــه الخطية التى تتكرر – بعد المراحل الثلاث – للمرة العاشرة .. وبوصول الأخ إليها يكون قد بلغ الخطية التى للموت.

وإن واصلنا افتراضنا وقلنا أن الأخ الروحانى قد أدركه، وردَّه عن ضـــلال طريقه، بعد الخطية رقم ٣ .. فإنه بذلك يكون قد **خلصه من الموت** (الزمني).. أى أعفاه من الوصول إلى حد الموت .. وهو رقم ١٠.

النتيجة الثانية : يستر كثره الخطايا ؛ أى سيوفر عليه كثرة مـــن الخطايـــا **المستقبلية** التى كان سيقع فيها.. وفى مثالنا الذى افترضناه فإن الروحانى بعلاجه، سيوفر على المخطئ سبع خطايا كان سيقع فيها مستقبلا .. فيما يعتبر سترا وحجبا لها عن **التواجد** .

وفى الوقت نفسه فإن هذا الروحانى سيكون بمحبته ساترا كثرة من الخطايـــا **الماضية** .. " لأن المحبة تستر كثرة من الخطايا" (١ بط ٤ : ٨).. بمعنـــى أنـــه بمحبته ستر الخطايا الثلاث الماضية .. فيما يعتبر ستراً وحجبا لها عن **الوجود**.

والخلاصـــة : إننا بهذا نكون قد أدركنا " أن الرب رحـــيم ورؤوف طويـــل الروح وكثير الرحمة . لا يحاكم إلى الأبد ولا يحقد إلى الدهر. لم يصـــنع معنـــا حسب خطايانا ولم يجازنا حسب آثامنا. لأنه مثل ارتفاع السماوات فـــوق الارض قويت رحمته على خائفيه. كبعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصـــينا. كمـــا يترأَف الأب على البنين يترأَف الرب على خائفيه. لأنه يعرف جبلتنا. يذكر أننـــا تراب نحن " (مز ١٠٣ : ٨-١٤) .. لذلك فهو يتأنى علينا مقدما لنا مراحل عديدة نجتازها بعد خطئنا .. فلا يأخذ المخطئ فوراً بجريرته .. هذا بخلاف حد الموت الذى يطيل أمده حتى يصلى المؤمنين مـــن أجـــل المخطـــئ .. وحتـــى يدركـــه الروحانيون فيردوه عن خطئه .. وفى النهاية فإن الدينونة هى عمله الغريب (إش ٢٨ : ٢١).

له كل الحمد والتسبيح إلى الأبد

آمين

لطخات من الدهان

لطخات من الدهان

" إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (١ يو ١ : ٩) ♦.

عندما استخدمتُ آلة الدهان أعلى من رأسى فإنها تركت رذاذا من النقط الصغيرة على زجاج نظارتى.

لم يلحظها الآخرون .. ولا لاحظتها .. إلا أننى فى الصباح وفى طريقى إلى عملى فإن سطوع ضوء الشمس على عدسات نظارتى جعل تلك النقط الدقيقة منظورة ومضايِقة.

هكذا الحال مع سلوكياتنا الصغيرة غير المستقيمة .. قد لا يراها الآخرون مثلماً لا نراها نحن أيضاً.. لكن عند دراسة كلمة الله فإن نور الحق الإلهي – لا نور الشمس – يضيئ علينا فتظهر عيوب سلوكنا بصورة مرعبة .. ذلك لأن صفات الله النقية ومحبته الصادقة، ودوافعه الصريحة، تظهر لطخات أخطائنا فيما نعمله.

فالأكاذيب البيضاء الصغيرة، والأنانية، والغضب، والرياء، وأميالنا النجسة، تظهر عندئذ واضحة .. وهى فينا جميعاً بدرجات متفاوتة.

كم كان الرسول يوحنا مدركا ذلك عندما كتب :" إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا " (١ يو ١ : ٨).

لكن شكراً لله لأنه " إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا" (١ يو ٢ : ١ ، ٢).. وهو الذى يقودنا إلى الاعتراف بخطايانا .

♦ ترجمة : **نجاتي أبادير من :** The Lord Is Near

وحينما نعترف بتقصيراتنا فإن الله يطهرنا حتى من تلك اللطخ الدقيقة .. لأنه إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (١ يو ١ : ٩).

" اختبرنى يا الله واعرف قلبى امتحنِّى واعرف افكارى. وانظر إن كان فىَّ طريق باطل واهدنى طريقاً ابدياً" (مز ١٣٩ : ٢٣ ، ٢٤).

" الشهوات من يشعر بها . من الخطايا المستترة أبرئنى" (مز ١٩ : ١٢).

من التاريخ

من التاريخ

من تاريخ الرسل

" من رد خاطئاً عن ضلال طريقه **يخلص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا"** (يع ٥ : ١٩).

من القصص التى حفظها لنا التاريخ الكنسي أن واحداً من النفوس التى كان يحبها الرسول يوحنا ويسهر لأجلها ويهتم بها، ارتد. وحدث أن الرسول زار المدينة التى فيها هذا الشخص، فعلم أنه التف مع جماعة من اللصوص وصار هو زعيمهم. ونظرا لمحبة الرسول الشديدة له عقد النية على السعى إليه لردّ نفسه. فألقى بنفسه فى الطريق التى كانت تلك العصابة تتهددها. ورضى أن يُقبض عليه. ثم التمس من الذين أخذوه مكتوفا أن يذهبوا به إلى الرئيس الذى لما رأى ذلك الشيخ الوقور، تأثر من المنظر وعادت إلى ذهنه الأيام السابقة، فانتخس ضميره ولم يستطع الوقوف أمامه فهرب مذعوراً. أما الرسول يوحنا الذى امتلأ قلبه بالحب له فأسرع وراءه ، وأمسك به وتوسّل إليه أن يندم عن شرِّه ويتوب ويرجع إلى الرب وأكد له غفران خطاياه باسم الرب يسوع. ففعلت هذه الأقوال فعلها فى نفس الرجل، وتغلبت عليه محبة الرسول الشيخ. فتاب إلى الله ورجع نادما وأصبح من ذلك الحين أحد أفراد الكنيسة العاملين. ليعطنا الله أن تكون فينا روح المحبة هكذا لرد نفوس الضالين.

أندرو مولر

* * * *

من تاريخ الرهبان

" أيها الإخوة إن انسبق إنسان فأُخذ فى زلَّة ما فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة **ناظراً إلى نفسك** لئلا تجرب أيضا " (غل ٦ : ١).

حدث أن سقط أخ فى زلة، فاجتمع مجمع الرهبان (فى وادى النطرون) لمحاكمته وإدانته، وأرسوا يطلبون الأنبا موسى الأسود. ولإلحاحهم عليه قام وأخذ قُفَّة قديمة وملأها رملا ووضعها على ظهره.

ولما رآه الإخوه مقبلا خرجوا للقائه ، ودهشوا إذ رأوه هكذا، فسألوه :" ماهذا يا أبانا " ؟ .. " أجابهم :" إن خطاياي ثقيلة ولكنها ورائى فلا آراها ، ثم آتى لأحكم على غيرى (وكما لو كان يريد أن يقول لهم **علىَّ أن أنظر إلى نفسى** وما أحمله من خطايا قبل أن أحكم على غيرى). فاتعظ الإخوه بكلماته واتجهوا لإصلاح الأخ المخطئ بدلا من إدانته . ثم أبرأو ذمته.

السكنكسار

* * * *

من التراث الإسلامي

- خير الخطَّائين التوَّابون.
- لا تنظر إلى صغر المعصية بل انظر إلى عظم من عصيت.

بلال بن أنس

ملاحق

ملاحق

ملحق ١ : **الشراء** هو دفع الثمن .. بينما **الفداء** هو تحرير المشترى المدفوع ثمنه من قبضة مالكه الأول .. وانتقاله إلى المالك الجديد الذى قام بالشراء ، ودفع الثمن.

والرب يسوع **اشترى العالم كله** (مت ١٣ : ٤٤) .. حتى الذين ينكرونه (٢ بط ٢ : ١) .. بما فى ذلك الخليقة غير العاقلة أيضاً ... وذلك عندما دفع الثمن .. وهو دمه الكريم (رؤ ٥ : ٩).

والفداء وإن كان مختلفاً عن الشراء، إلا أن أساسه أيضا هو الدم .. فعندما دخل المسيح إلى الاقداس السماوية بدم نفسه ، أوجد **فداءً أبدياً.**

فبالنسبة لنا، نقرأ :" الذى فيه لنا الفداء بدمه " (أف ١ : ٧) .. وقد بدأ بفداء أرواحنا؛ أى تحريرها (يو ٨ : ٣٦) ، كخطوة أولى .. تتلوها خطوة أخرى هى ؛ " فداء أجسادنا (رو ٨ : ٢٣) .. ولأنه سبق واقتناها (اشتراها) بدمه ، لذلك يسمى فداء الأجساد " بفداء المقتنى " (أف ١ : ١٤).

أما بالنسبة للخليقة غير العاقلة ، فإنها تتوقع استعلان أبناء الله (رو ٨ : ١٩) ؛ أى المؤمنين ، بعد فداء أجسادهم ، وتمجيدهم، لتتحرر هذه الخليقة بدورها .. وتعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله .. حتى الأرض أيضاً (وقد اشتراها المسيح بدمه) ستُفك لعنتها هى الأخرى .. فلن تنبت شوكا وحسكا، بل سروراً وآساً (إش ٥٥ : ١٢ -١٣).

ملحق ٢ : يكتب الفاضل الأخ " هـ . ل. هايكوب " : ﴿ عندما نشعر أننا أخطأنا يجب أن نحضر ذبيحة (خطية) .. يجب أن نعترف بخطايانا، ونحكم على أنفسنا .. (لا بغية الغفران فقط .. بل حزناً وندماً) .. إذ لاينبغى علينا أن نطلب من أجل الغفران .. بل يجب أن نعترف بخطايانا ﴾.

﴿ وداود لم يقف عند مجرد الاعتراف بخطيته، بل رجع إلى المصدر الذى أنتج هذه الخطية .. وعبر عن ذلك بقوله :" لأنى بالإثم صُوِّرت وبالخطية حبلت بى أمى " (مز ٥١ :٥) .. لقد ذهب إلى أبعد من أن يدين فعله الشائن فقط.. لقد دان أيضاً طبيعته الساقطة التى منها صدر هذا الفعل الشائن ﴾.

ملحق ٣ : يكتب الفاضل الأخ " ناشد حنا : " ﴿ كان الكاهن الممسوح قديما يأكل من ذبيحة الخطية التى يقدمها المخطئ .. فى إشارة إلى أن الرب يسوع – كالكاهن العظيم – هو أول من أكل (معنوياً طبعاً) من ذبيحة خطيتنا عندما مات على الصليب .. لقد أحس هناك بقذر وشناعة الخطية أكثر منا بكثير .. ومازال يفعل ذلك معنا إلى الآن ﴾ .

ومعبِّرا عن شناعة الخطية فى نظر الله يكتب الفاضل الأخ " يوحنا. ن. داربى " : ﴿ الخطية الواحدة فى نظر الله أكثر من خطايا العالم كله مجتمعة فى نظرنا ﴾ .. ويكتب أيضاً : ﴿ إن خطية واحدة فعلها مؤمن واحد تحتاج إلى نفس عمل المسيح الكفارى كلِّه على الصليب ﴾.

ويضيف الأخ " ناشد " : ﴿ وكل ذكر من الكهنة يأكل منها " (من ذبيحة الخطية) (لا ٦ : ٢٩) .. ونحن (ككهنة روحيين) نستطيع أن نقوم بنفس الخدمة الكهنوتية التى يقوم بها الرب يسوع .. لذلك يجب علينا أن نأكل من ذبيحة الخطية (خطية إخوتنا) ؛ أى نُتْحِد

أنفسنا بخطايا الشعب .. و نُتْحِد أنفسنا مع الأفراد الذين أخطأوا .. كما فعل دانيال (دا : ٩ : ٣-٢٠) .. **فنصير معهم واحداً فى مشاعرنا وأحاسيننا لا فى فعل الخطية** .. فالخطية التى نكتشفها فى الآخرين هى استعراض لما فينا نحن بحسب الطبيعة .. وهى مرآة لما نحن عليه .. إنه أسهل علينا أن نحرق ذبيحة الخطية من أن نأكلها (لا ١٠ : ١٦ - ٢٠) .. فالعمل بروح الناموس، وديونة الآخرين أقرب إلينا من أن نجعل خطية إخوتنا هى خطيتنا نحن أمام الله ﴾.

انتهى كلام الإخوة الأفاضل .. وأود أن أضيف : أنى إن كنت - باعتبارى كاهنا (روحيا) - يجب علىَّ أن آكل من ذبيحة خطية أخى مشتركا معه فى أحاسيس الحزن والندم على خطيته .. كأنى مشترك معه فى فعلها .. فما الذى يمنع من أن آكل من ذبيحة خطيتى التى أخطأت بها .. صحيح أن أكلى من ذبيحة غيرى هو مستوى عالٍ .. وعند سقوطى وتقديم ذبيحة خطية - معنويا - عن نفسى لا أكون أهلا لهذا المستوى .. لكن ألا يعتبر حزنى وندمى على خطيتى بأى مستوى كنت عليه هو أكل من ذبيحة خطيتى.

ماهو الأكل من ذبيحة الخطية ؟ .. الأكل من ذبيحة الخطية - ذبيحة غيرى، أو ذبيحتى - هو حالة انسحاق الروح ، وانكسار النفس، والتذلل بسبب الخطية .. أيا كان فاعل هذه الخطية - أنا .. أم أخى .. أم الجماعة - فالخطية هى الخطية فى نظر الله .. ونظرى إليها باعتبارها سببت آلاماً غير محدودة لسيدى يضع وجهى فى التراب .. أصالة عن نفسى ونيابة عن أخى .. وهكذا أكون آكلا من ذبيحة الخطية .. عن نفسى ، فى أضعف المستويات .. وعن أخى، فى المستوى العالى.

ملحق ٤ : كان الفرق بين القبول والرضا فى العهد القديم غير محدد .. بينما فى العهد الجديد نجد هذا الفرق واضحاً ومحدداً .. **فقبول** الله لنـــا فى كفاية ذبيحة المسيح هو مركز لنا .. ولأنه مركز فهو أبدى .. وثابت لا يتغير .

فنحن مقبولون فى المسيح قبولا أبدياً بل إننا نجد فى الكتاب تعبيراً أكثر قوة من القبول وهو **الملء** .. فنحن **مملوؤون فيه** " (كو ٢ : ١٠).. أى كاملون إلى درجة كمال الملء .. كمركز لنا أيضاً.

أما **الرضا** .. رضاء الله عنا فى حياتنا وسلوكنا فهو بالطبع يتغير ارتفاعاً وانخفاضا تبعاً لحالتنا .. فهو ليس مركزاً لنا.

فإن كنا مرضيين هنا ترتبت على ذلك نتيجتان :

الأولى ؛ إعفاؤنا من التأديب الزمنى.

الثانية ؛ مكافأتنا أمام كرسى المسيح .. ويكتب الرسول فى هــذا الصدد :" لذلك نحترص أيضاً .... أن نكون **مرضيين عنده** " (٢ كو ٥ : ٩) .. لماذا ؟ .. يضيف : " لأنه لابد أننا جميعاً نُظهــر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شرا " (٢ كو ٥ : ١٠) .. (أى بحسب ما صــنع وقت أن كان بالجسد .. يُرجع إلى العدد الثالث بعنــوان كرســى المسيح).

ملحق ٥ : وجودنا فى مكان ذبح المحرقة هو مركز لنا .. لكن تمتعنا بـــه، وإدراكنا له – شأن باقى امتيازتنا – يتوقف على حالتنا (راجــع عدد ١٤ بعنوان لنا شفيع) .. فتدريب الضمير – بعد ســقوطى – عن طريق ندمى .. وتوبتى .. أى تقدميى – معنويــاً – ذبيحــة خطية .. وأكلى منها .. يصل بى **عملياً** إلى موقــع المحرقــة .. الذى أنا فيه **شرعاً ومركزاً**.

وفى هذا يكتب الأخ ناشد حنا : ﴿ **تدريبات الضمير بخصوص ذبيحة الخطية تصل بى عملياً إلى المحرقة** .. وهذا مانجده فى مزمور ٥١ .. فإن داود يبدأ بهذه التدريبات : " **ارحمنى يا الله حسب كثرة رحمتك . حسب كثرة رأفتك أمحو معاصىَّ . اغسلنى كثيراً من إثمى ومن خطيتى طهرنى** " (مز ٥١ : ١ ، ٢) .. ثم ينتهى بالقول : "أحسن برضاك إلى صهيون حينئذ تُسَرُّ بذبائح البر **محرقة** وتقدمه تامة" ﴾ (مز ٥١ : ١٩).

ملحق ٦: بالإضافة إلى أن نفض الغبار هو شهادة ضد رافضى كرازة هؤلاء المبشرين.

ملحق ٧ : كما سيأتى ذكره فى عدد قادم بعنوان " متحف النعمة " .. بمشيئة الرب.

ملحق ٨ : فى ذلك الزمان البعيد – وليس ، فى كل الأحوال، السعيد – لم تكن كل حجرات الفئران المدرسية حجرات وهمية .. بل كانت هناك بالفعل حجرات حقيقية .. نصف مظلمة .. بلا فئران طبعاً .. يتم حبس التلاميذ فيها بالفعل .. كما يوثِّق ذلك الأستاذ " أمين هويدى" ، رئيس المخابرات العامة ووزير الحربية الأسبق فى سيرته الذاتية التى أودعها كتابه " ٥٠ عاماً من العواصف " .. ويذكر فيه كيف بكى وحيداً وهو طفل صغير .. يفارقه أبوه فى يومه الأول فى المدرسة الابتدائية .. وعندما فشل " الناظر " فى إسكاته ، أمر الفراش بوضعه فى حجرة الفئران .. فُتحت الحجرة! .. وألقوه فيها .. ثم أغلقوا بابها بالقفل والمفتاح .. ليتركوه فيها .. وسط عاصفة من صراخه.

ملحق ٩ : مواهب الروح القدس (١ كو ١٢ ، عب ٢ : ٤) ، هى بخلاف الوزنات الطبيعية (مت ٢٥ : ١٥).

فالاولى – كالتبشير مثلا، أو فهم المكتوب مع القدرة على التعليم (أف ٤ : ١١) – توهب للشخص وقت إيمانه وسكنى الروح القدس فيه (أف ١ : ١٣، ٤ : ٨).

أما الثانية – كالمهارة فى عزف الموسيقى مثلا .. أو القدرة على الخطابة – فهى ملكات طبيعية يولد بها أى إنسان .

كيف نعرف أن الوزنات هى ملكات طبيعية غير مرتبطة بسكنى الروح القدس؟.. بالإضافة إلى تواجدها عند البشر دون تمييز، نعود إلى المثل الذى صاغه الرب .. وفيه نجد صاحب الوزنة الذى طمرها فى الأرض ولم يستثمرها لحساب سيده يُحكم عليه بالطرح إلى الظلمة الخارجية حيث البكاء وصرير الأسنان (متى ٢٥ : ٣٠) .. مما يتنافى مع أن تكون هذه الوزنة موهبة روحية .. ويتعارض مع أن يكون صاحبها مختوما بالروح القدس – إلى يوم الفداء – ومتمتعاً بمواهبه.

على أن هذه الوزنات يعطيها الله – كالخالق – للبشر على أمل أن يخدموه بها فى حينه (أو يخدموا البشرية).

لذلك نجد أنه قد أفرز الرسول بولس من بطن أمه (غل ١ : ١٥) مزوّدا ومجهزاً بوزنات طبيعية – كالقدرة العجيبة على التحمل مثلا – حتى يستطيع – فيما بعد – أن يؤدى رسالته.

إلا أن هذه الوزنات الطبيعية – وإن تمكن صاحبها من استخدامها أو أفاد بها البشرية – تعجز فى حد ذاتها عن أن تنتج ثمراً للروح .. والسبب أن الإنسان الطبيعى – بملكاته ووزناته وكافة إمكانياته – لا يستطيع أن يرضى الله (رو ٨ : ٨) .. ولكنها (الوزنات) تكون نافعة (روحيا) فقط عندما تُخضع بالتمام للرب .. وتُستخدم بقوة الروح القدس.

ملحق ١٠ : الجوف ؛ هو المكان الذى يصل إليه الطعام بعد أكله، كقول الرب : " إن كل ما يدخل الفم يمضى إلى **الجوف** .... " (مت ١٥ : ١٧).

ملحق ١١ : معظم القراء المعاصرين لصدور هذا العدد ، يتذكر طائرة شرم الشيخ التى سقطت فى خليج نعمة فى يناير ٢٠٠٤ ، وغاص حطامها إلى حوالى ١٠٠٠ متر تحت سطح البحر .. العمق الذى منع الغواصين من الوصول إلى الصندوق الأسود لانتشاله من هناك .. وذلك لارتفاع الضغط فى هذا العمق .. فاستعانت الجهات المعنية بإنسان آلى (روبوت) فرنسى يتحمل الضغط الهائل فى هذا العمق ، للقيام بهذه المهمة.

ملحق ١٢ : إن كانت هناك – أو ظهرت مؤخراً – تفسيرات علمية تبين إمكانية استمرار يونان حياً فى بطن الحوت، فإن الأمر برُمَّته يظل **آية** .. كقول الرب : " **آية** يونان النبى" (مت ١٢ : ٣٩).

ملحق ١٣ : يضاف إليها حجرات مؤقتة أخرى .. مثل الظروف المعاكسة .. والتجارب المحرقة .. إلخ.

ملحق ١٤ : لمزيد من التفاصيل ، يرجع للعدد الخامس بعنوان " أرى الدم".

ملحق ١٥ : انفتحت السماء أيضاً أمام استفانوس .. وأمام يوحنا الرائى .. لكنها لم تنفتح سروراً بهم – كما حدث مع الرب – لكن لأسباب أخرى.

المراجع

- **تراجم متعددة للكتاب المقدس.**

- **قواميس متعددة للكتاب المقدس.**

- **مراجع روحية**

تفاسير كنيسة الإخوة، وكنائس أخرى، للشواهد الكتابية الـــواردة فى هذا العدد.

- **مراجع أخرى**

مختصر تاريخ الكنيسة	أندرو مولر
سجل الخالدين جـــ ٢	ملاك لوقا
موسوعة كل شئ عن جـــ ١٤	روى تشابمان أندروز ترجمة د. محمد صابر سليم

- **مقالات**

من أســـرار القرآن	د. زغلول النجار
سيرة على الحركرك	عادل حمودة

فى هذا العدد ..

- ما هية الحكم على النفس.
- "بسيط" وتدريباته.
- الأكل من ذبيحة الخطية، وما يرمز إليه.
- "راهب" وفئرانه.
- فئـــران الحياة.
- حـــد المـــوت.

تحت الطبع.. بمشيئة الرب.

- "رائد" و"سلطـــان".
- الدفتـرخـــانـــة.
- الورقة الأخيرة.
- وأعداد أخــرى..

سلسلة مـــلء الجبـاب
تطلب من
كنيسة الأخوة
٧ شارع الدرى - ميدان الجيزة
و من المكتبات المسيحية